

من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شابًا فتياً.

وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة. وهي تحية بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله. الحديث.

الأزهري: ويسمى الدهر جذعاً؛ لأنه شاب لا يهرم. (من أسنان الدواب) واستعير للإنسان، ومعناه على التشبيه حيث أطلق الجذع الذي هو الحيوان المنتهي إلى القوة، وأراد به الشاب الذي فيه قوة الرجل وتمكّنه من الأمور، (وهو ما كان منها شاباً فتياً) قال ابن سيده: قيل الجذع من المعز الداخِل في السنة الثانية، ومن الإبل فوق الحق، وقيل: منها لأربع، ومن الخيل لسنتين، ومن الغنم لسنة، وقيل معناه: يا ليتني أدرك أمرك فأكون أوّل من يقوم بنصرتك؛ كالجذع الذي هو أوّل الأسنان، قال صاحب المطالع: والقول الأوّل أبين.

(وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية) بجيم وراء وتحية (الثقفي) صحابي؛ كما في الإصابة وغيرها، لكن الراوي هنا إنما هو حفيده فالذي عند البيهقي من طريق ابن إسحاق، قال: حدّثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان العلاء بن جارية الثقفي وكان واعية، أي: للعلم فسقط على المصنّف اسمه واسم أبيه وكنية جدّه المسمّى بالعلاء وأتى باسمه وليس هو الراوي؛ لأن ابن إسحاق ليس تابعياً بل من صغار الخامسة، وقد قال: حدّثني، وإنما الراوي حفيد العلاء وهو عبد الملك.

(عن بعض أهل رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتدأه) عطف تفسير (بالنبوة كان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه) ذكره لأنه لا يلزم من السلام أن يسمعه وكان ابتداء ذلك قبل النبوة بسنتين على ما روى ابن الجوزي، عن ابن عباس، قال: أقام ﷺ بمكة خمس عشرة سنة سبعا يرى الضوء والنور ويسمع الصوت، وثمان وستين يوحى إليه، قال الخازن: وهذا إن صحَّ يحمل على سنتين قبل النبوة فيما كان يراه من تباشيرها وثلاث سنين بعدها قبل إظهار الدعوة، وعشر سنين معلن بالدعوة بمكة، انتهى. وهو حمل مناف لقوله ثمانية، اللهم إلا أن يقال الحقّ سنتين من ابتداء العشر بما قبلها؛ لعدم ظهور الدعوة فيهما كل الظهور.

(فيلتفت رسول الله ﷺ خلفه وعن يمينه وعن شماله، فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة، وهي تحية بتحية النبوة) التي لم تكن معروفة قبلها إكراماً وإعلاماً بأنه سيوحى إليه بالرسالة، تقول: (السلام عليك يا رسول الله... الحديث) وأفاد المصنّف فيما يأتي استمرار

وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت خلقي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا فلم أثبت له، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني وصبوا علي ماء باردًا فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ﴾

السلام بعد النبوة، قال السهيلي: الأظهر أنهما نطقًا بذلك حقيقة وليست الحياة والعلم والإرادة شرطًا له؛ لأنه صوت وهو عرض عند الأكثر لا جسم؛ كما زعم النظام، وإن قدر الكلام صفة قائمة بنفس الشجر والحجر فلا بد من شرط الحياة والعلم مع الكلام فيكونان مؤمنين به، ويحتمل أنه مضاف في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن، فهو مجاز؛ كآسأل القرية، وفي كلها علم على النبوة لكن لا يستقى معجزة إلا ما تحدى به الخلق، فعجزوا عن معارضته، انتهى ملخصًا.

(وعن جابر) بن عبد الله الأنصاري الخزرجي الصحابي ابن الصحابي، (أن رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء» أقمت فيه، والفرق بينه وبين الاعتكاف أنه لا يكون إلا داخل المسجد، والجوار قد يكون خارجه، قاله ابن عبد البر وغيره ولذا لم يسمه اعتكافًا؛ لأن حراء ليس من المسجد. (شهرًا) في مدة الفترة غير الشهر الذي نزل عليه فيه جبريل بسورة ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، ففي مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي أنه كان يجاور في كل سنة شهرًا وهو رمضان، فلا حجة في الحديث على أن أول ما نزل المدثر.

(فلما قضيت جواري) بكسر الجيم وخفة الواو، أي: مجاورتي، (هبطت) وفي مسلم: نزلت، فاستبطنت بطن الوادي، أي: صرت في باطنه، (فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا، ونظرت خلقي فلم أر شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا) هو جبريل؛ كما قال في بدء الوحي. والتفسير: فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، وهو معنى رواية التفسير أيضًا: وهو جالس على عرش بين السماء والأرض، (فلم أثبت له) وفي بدء الوحي: فرعبت منه، قال الحافظ: فدل على بقية بقيت معه من الفزع الأول، ثم زالت بالتدرج، (فأتيت خديجة، فقلت: دثروني دثروني)، مزين هكذا في الصحيحين في التفسير. وفي البخاري في بدء الوحي: «زملوني زملوني» والأول أولى؛ لاتفاقهما عليه ولأنها، كما قال الزركشي: أنسب بنزول المدثر.

(وصبوا علي ماء باردًا) أي: على جميع يدي على ظاهره (فنزلت) أي: سألته وإعلامًا بعظيم قدره وتلطفاً، ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ﴾ [المدثر: ١]، بشيابه، قاله الجمهور. وعن عكرمة: بالنبوة وأعبائها، ﴿قُمْ﴾ [المدثر: ٢] من مضجعك أو هو مجاز، أي: قم مقام تصميم،

فأنذر وربك فكبر ﴿ الآية وذلك قبل أن تفرض الصلاة رواه البخاري ومسلم والترمذي.

ولم يكن جواره عليه الصلاة والسلام لطلب النبوة، لأنها أجل من أن تنال بالطلب أو الاكتساب، وإنما هي موهبة من الله، وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

﴿فأنذر﴾ [المذثر: ٢]، حذر من العذاب من لم يؤمن بك، وحذف المفعول تفخيماً، وفيه: أنه أمر بالإنذار عقب نزول الوحي للإتيان بفاء التعقيب، واقتصر على الإنذار وإن كان بشيراً ونذيراً؛ لأن التبشير إنما يكون لمن دخل في الإسلام ولم يكن حينئذ من دخل فيه.

﴿وربك فكبر﴾ [المذثر: ٣]، عظمه ونزهه عما لا يليق به، وقيل: المراد تكبير الصلاة واعتراض. (الآية) أل للجنس، بدليل رواية بدء الوحي: فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المذثر قم فأنذر﴾ [المذثر: ١، ٢] إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ [المذثر: ٥] يعني: ﴿وثيابك فطهر﴾ من النجاسة أو قصرها أو طهر نفسك من كل نقص، أي: اجتنب النقائص، ﴿والرجز فاهجر﴾، الرجز: لغة العذاب وفسر في الحديث بالأوثان؛ لأنها سبب العذاب، وقيل: الشرك، وقيل: الظلم، وكلها أفراد، فالمراد ما ينافي التوحيد ويؤول إلى العذاب.

(وذلك قبل أن تفرض الصلاة) التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي؛ لأنها المحتاجة للتبنيه عليها، وأما الخمس فمتأخرة عن ذلك؛ لكونها ليلة الإسراء. (رواه البخاري) في التفسير والأدب وبدء الوحي، (ومسلم) في التفسير (والترمذي والنسائي ولم يكن جواره عليه الصلاة والسلام لطلب النبوة)، لأنه ولو علم بالبشارات الحاصلة قبل ولادته، وإخبار الكهنة وبحيرا وغيرهم بأنه نبي آخر الزمان لكن صانه الله سبحانه عن اعتقاد ما يخالف ما عنده تعالى من أنها لا تنال بطلب فإنه ﷺ قبل النبوة منشرح الصدر بالتوحيد والإيمان وكذلك الأنبياء فإنهم، كما قال عياض: معصومون قبلها من الشك في ذلك والجهل به اتفاقاً، وإنما كان جواره مجرد عبادة وانعزال عن الناس واقتفاء لأثار جدّه، فإنه كما مرّ أول من تحثّ بحراء لا للنبوة؛ (لأنها أجل من أن تنال بالطلب والاكتساب) عطف تفسير (وإنما هي موهبة) بكسر الهاء (من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده) ولو كانت تنال بذلك لنالها كثير من العباد سنين كثيرة.

(و) قد قال سبحانه: (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) أي: المكان الذي يضعها فيه، وغرض المصنف دفع ما يتوهم أن العجواز للنبوة التي الكلام فيها: فأين إشعاره بأن الولاية مكتسبة حتى يعترض عليه بنص بعض المحققين على امتناع اكتساب الولاية أيضاً، لكن لا يكفر إلا

ولم تكن الرجفة المذكورة خوفاً من جبريل عليه السلام، فإنه ﷺ أجل من ذلك وأثبت جنائاً، وإنما رجف غبطة بحاله وإقباله على الله عز وجل، فخشي أن يشغل بغير الله عن الله.

وقيل: خاف من ثقل أعباء النبوة.

وفي رواية البيهقي في الدلائل: أن خديجة قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب به إلى ورقة، فأخذه أبو بكر، فقص عليه ما رأى، فقال عليه الصلاة والسلام إذا خلوت وحدي سمعت نداء: يا محمد، فانطلق هارباً.. فقال: لا تفعل إذا قال، فاثبت

مَجُوزًا اكتساب النبوة، نعم لا يقصر كما قال بعض المتأخرين شأن مجوز اكتساب الولاية عن التبديع، (ولم تكن الرجفة المذكورة) في قوله: فلم أثبت له، وفي رواية: فرعبت منه، وفي أخرى: فجئنت بضم الجيم وكسر الهمزة وسكون المثلثة ففوقية، وفي أخرى: فجئنت بمثلثين من جثي كعنى، وفيه روايات أخر والكل في الصحيح. (خوفاً من جبريل عليه السلام، فإنه ﷺ أجل من ذلك وأثبت جنائاً) بفتح الجيم، أي: قلباً، (وإنما رجف) بفتح تحتين (غبطة) بكسر الغين: فرحاً، (بحاله) وهي في الأصل حسن الحال؛ كما في القاموس. (وإقباله على الله عز وجل) فخشي أن يشغل بغير الله عن الله) وقد أمن الله خوفه فلم يكن يشغله عن الله شيء، (وقيل: لم يخش ذلك بل (خاف من ثقل أعباء النبوة) أثقالها جمع عبء مهموز، فالإضافة ببيان.

(وفي رواية البيهقي في الدلائل أن خديجة قالت لأبي بكر) الصديق، قال الزمخشري: لعله كني بذلك لابتكاره الخصال الحميدة، (يا عتيق) ظاهر في القبول بأنه اسمه الأصلي؛ لأن أمه استقبلت به الكعبة لما ولد وقالت: اللهم هذا عتيقك من الموت؛ لأنه كان لا يعيش لها ولد، وقيل: سمي به لقول المصطفى: «من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار، فلينظر إلى أبي بكر»، وبينهما تناف، فإن قول خديجة قبل ظهور النبوة وقد يتعسف التوفيق بأنه اسمه ابتداء لكن لم يشتهر به إلا بعد قول المصطفى، والصحيح ما جزم به البخاري وغيره أن اسمه عبد الله بن عثمان. (اذهب به إلى ورقة، فأخذه أبو بكر فقص عليه ما رأى) ووفق العيني بين هذا ونحوه وبين ما في الصحاح: أنها ذهبت معه إلى ورقة بأنها أرسلته مع الصديق مرة وذهبت به أخرى، وسألت عداً بمكة وسافرت إلى بحيرا؛ كما رواه التيمي كل ذلك من شدة اعتنائها به ﷺ ورضي عنها، انتهى.

وبين ما قصه بقوله: (فقال عليه الصلاة والسلام: إذا خلوت وحدي سمعت نداء: يا محمد فانطلق هارباً) خوفاً أن يكون من الجحش، (فقال: لا تفعل، إذا قال) المنادي ذلك (فاثبت

حتى تسمع، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال: قل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ١، ٢]. إلى آخرها. ثم قال: قل لا إله إلا الله. الحديث.

واحتج بذلك من قال بأولية نزول الفاتحة.

والصحيح أن أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن ﴿اقرأ﴾ كما صح ذلك عن عائشة، وروي عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير.

قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

وأما ما روي عن جابر وغيره: أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ فقال النووي: ضعيف، بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي.

حتى تسمع) ما بعد يا محمد، (ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه) علي عاداته التي كان يفعلها معه، (يا محمد، فثبت فقال: قل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: ١، ٢] إلى آخرها) أي: الفاتحة، (ثم قال: قل: لا إله إلا الله... الحديث) وغرضه من سياقه أنه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل اقرأ، كما أرشد إلى ذلك قوله الآتي، فقال البيهقي: هذا منقطع... الخ، وكذا قوله: (واحتج بذلك من قال بأولية نزول الفاتحة) أولية مطلقة، (والصحيح أن أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن) أول سورة ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥]، (كما صح ذلك عن عائشة) مرفوعاً.

(وروي عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير) بن قتادة بن سعد، أبي عاصم الليثي المكي قاضيهما الثقة الحافظ أحد كبار التابعين، (قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، وأما ما روي عن جابر وغيره أن أول ما نزل) مطلقاً أول سورة ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾ [المدثر: ٥]، (فقال النووي: ضعيف بل باطل) بطلاناً ظاهراً ولا تغير بجلالة من نقل عنه فإن المخالفين له هم الجماهير ثم ليس لبطلاننا قوله تقليد للجماهير بل تمتسكاً بالدلائل الظاهرة، ومن أصرحها حديث عائشة. (وإنما نزلت) ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، (بعد فترة الوحي) بعد نزول ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]؛ كما صرح به في مواضع من حديث جابر نفسه؛ كقوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال: «فأنزل الله ﴿يا أيها المدثر﴾» [المدثر: ١]، وقوله: «فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض»، وقوله: «فحمى الوحي وتتابع»، أي: بعد فتراته، انتهى كلام النووي كله في شرحه للبخاري، وهو قطعة من أوله فلا حجة في حديث جابر على الأولوية المطلقة، وإن استدلل

وأما حديث البيهقي أنه الفاتحة - كقول بعض المفسرين - فقال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] و ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]. وقال النووي - بعد ذكر هذا القول - بطلانه أظهر من أن يذكر. انتهى.

به جابر عليه. ففي البخاري ومسلم من طريق يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، فقلت: أنبت أنه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١]، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل أول فقال: ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، فقلت: أنبت أنه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١]، قال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال: «جاورت بحراء» الحديث المتقدم في المصنّف، ولذا قال الكرماني: استخرج جابر أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١] باجتهاده، وليس هو من روايته؛ فالصحيح ما في حديث عائشة: من أن أول ما نزل ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، انتهى.

لأنها رفعت والمرفوع مقدّم على الاستنباط ولا سيما مع قبوله للتأويل، بل هو الظاهر منه وبهذا علمت صعوبة قول السيوطي والمصنّف مراد جابر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو بالأمر بالإنداز، أو بقيد السبب، وهو ما وقع من التشديد. وأما ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١] فنزلت ابتداء بغير سبب، انتهى. لأن هذا إنما يصحّ لو لم يقل له السائل أنبت أن أوله: ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، نعم هي أجوبة عن دليله.

فإن قلت: كيف حكم النووي وغيره بالضعف بل بالبطلان على المروي عن جابر مع صحّة الطريق إليه، كيف وهو أرفع الصحيح مروي الشيخين؟

قلت: حكمه إنما هو على نفس القول الذي صحّت نسبته لقائله بصحّة إسناده، ونظير هذا في القرآن كثير، وقالوا: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون، فلا شك أن قولهم باطل، ولا في القطع بأنهم قالوه.

(وأما حديث البيهقي المازّ (أنه الفاتحة؛ كقول بعض المفسرين، فقال البيهقي: هذا منقطع) فلا حجة فيه؛ لأنه من أقسام الضعيف، (فإن كان محفوظاً) من غير هذا الوجه، (فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعد ما نزلت عليه: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١] و ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، فلا حجة فيه للأولية المطلقة، وبهذا يسقط زعم أن رواية البيهقي قبل أن يرى المصنّف جبريل بالمرّة. (وقال النووي، بعد ذكر هذا القول: بطلانه أظهر من أن يذكر) لمخالفته للمرفوع مع صحّته وعدم تطرّق الاحتمال إليه لصراحته، ولذا جزم به الجمهور، (انتهى). فتحصّل ثلاثة أقوال في أول ما نزل: ﴿اقرأ﴾، ﴿المدثر﴾، ﴿الفاتحة﴾، وقيل:

وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل على النبي ﷺ بالقرآن أمره بالاستعاذة، كما رواه الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد، استعذ، قال: استعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، قال: قل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ١]، ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١]. قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها على محمد ﷺ. قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد أن ذكره: وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً، والله أعلم.

وقد أورد ابن أبي جمرة سؤالاً، وهو أنه: لم يختص ﷺ بغار حراء، فكان يخلو فيه ويتحدث دون غيره من الواضع؟

وأجاب: بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة أنه منزو مجموع

﴿المزمل﴾، وقيل: ﴿ن والقلم﴾، وهما ضعيفان أيضاً.

(وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل على النبي ﷺ بالقرآن أمره بالاستعاذة؛ كما رواه الإمام المجتهد المطلق (أبو جعفر) محمد (بن جرير) الطبري البغدادي الحافظ، (عن ابن عباس، قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ، قال: يا محمد، استعذ، قال: أستعذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم) (يحتمل أنه فهم منه هذا اللفظ أو قال له: قل ذلك، كما (قال) له (قل: بسم الله الرحمن الرحيم)، فقالها: (ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق: ١]، (قال عبد الله) بن عباس: (وهي أول سورة أنزلها على محمد ﷺ)، ولو صح لكان حكمه الرفع، إذ لا مجال للرأي فيه، لكن (قال الحافظ عماد الدين بن كثير، بعد أن ذكره: وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفاً وانقطاعاً)، ولا يقدح ذلك في جلالة مخرجه ابن جرير؛ لأن المحدثين إذا أوردوا الحديث بسنده برئوا من عهده، (والله أعلم) بصحته في نفس الأمر وضعفه.

(وقد أورد) الإمام (ابن أبي جمرة) بجيم وراء (سؤالاً وهو أنه: لم يختص ﷺ بغار حراء) الباء داخل على المقصور عليه، أي: لم قصر نفسه على الخلوة به دون غيره؟ وفي نسخة: لم خصّ غار حراء؟ أي: لم ميّزه؟ والمعنى واحد. (فكان يخلو فيه ويتحدث دون غيره من الواضع، وأجاب بأن) المصطفى خصّه لأن (هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة أنه منزو مجموع) صفة كاشفة، ففي المختار: زوى الشيء جمعه، ولعلّ المعنى هنا منعطف مائل عن

لتحنثه وهو يبصر بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات: الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت. وغيره ليس فيه هذه الثلاث.

ولله در المرجاني حيث قال في فضائل حراء وما اختص به:
تأمل حراء في جمال محياه فكم من أناس من حلا حسنه تاهوا
فمما حوى من جا لعلياه زائرا

مرور الناس عليه فيتمكن من عدم مخالطتهم، فيتخلى للعبادة صالح (لتحنثه) فهو متعلق بمحذوف أو بمجموع على أنه نعت سببي، أي: مجموع حواس من يختلي به، (وهو يبصر) فيه (بيت ربه) الكعبة (والنظر إلى البيت عبادة)؛ كما في الخبر: «إن الله ينزل عليه عشرين رحمة»، (فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات: الخلوة)؛ هي أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه، وعند ذلك يكون خليفاً بأن يكون قلبه ممرّ الواردات من علوم الغيب وقلبه مقراً لها، قاله المصنّف. (والتحنث والنظر إلى البيت، وغيره ليس فيه هذه الثلاث) وناهيك بالخلوة من عبادة؛ لأنها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق والراحة من أشغال الدنيا والتفرغ لله فيجد الوحي فيه متمكناً؛ كما قيل:

وصادف قلباً خالياً فتمكّنا ولذا حببت للمصطفى

ثم هذا الجواب أولى من قول المصنّف في شرح البخاري، إنما كان يخلو بحراء دون غيره؛ لأن جده عبد المطلب أول من كان يخلو فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وسنّه، فتبعه على ذلك فكان يخلو بمكان جدّه وكان الزمن الذي يخلو فيه شهر رمضان فإن قريشاً كانت تعظمه، كما كانت تصوم شهر عاشوراء، انتهى.

(ولله در المرجاني) عبد الله بن محمد القرشي الإمام القدوة الواعظ المفسر أحد الأعلام في الفقه والتصوّف، قدم مصر ووعظ بها واشتهر في البلاد وامتنح وأفتى العلماء بتكفيره ولم يؤثروا فيه، فعلوا عليه الحيلة فقتل بتونس سنة تسع وستمائة، ذكره في اللوائح (حيث قال في فضائل حراء وما اختص به) أبياتاً، هي: (تأمل حراء) بالمدّ على اللغة الفصحى فيه، ولا يقصر هنا للوزن، (في جمال محياه) هو الوجه، (فكم من أناس من حلى) بضم الحاء، (حسنه تاهوا) بإشباع الهاء للروي.

(فمما حوى) الظاهر: أن مبتدأ بمعنى بعض على حدّ ما قيل في نحو قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ [البقرة: ٨]، وما موصول وصلته جملة حوى والعائد محذوف، أي: فبعض الذي حواه، (من) فاعل حوى (جا) صلته (لعلياه) متعلّق به (زائراً) حال من الفاعل للتبرّك

يفرج عنه الهم في حال مرقاه به خلوة الهادي الشفيع محمد وفيه له غار له كان يرقاه وقبلته للقدس كانت بغاره وفيه أتاه الوحي في حال صبراه وفيه تجلى الروح بالموقف الذي به الله في وقت البنداء سواء وتحت تخوم الأرض في السبع أصله ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه ولما تجلى الله قدس ذكره لطور تشظى فهو إحدى شظاياه ومنها ثبير

بحلول المصطفى وجبريل فيه؛ كما نزل ﷺ في أماكن حلّ بها أنبياء ليلة الإسراء، والخبر هو قوله: (يفرج عنه الهم في حال مرقاه) بالبناء للمفعول، أي: يفرج الله كل هم في حال صعوده ذلك الجبل الذي أجل فضائله أنه كانت (به خلوة الهادي الشفيع محمد) قبل النبوة وبعدها في مدة الفترة، (وفيه له غار له) كثرها للتقوية والإشارة إلى اختصاصه به حتى كأنه ملكه (كان يرقاه) فجاءه فيه جبريل (وقبلته للقدس كانت بغاره) فيه نظر، فإنه إنما صلي للقدس بعد الإسراء وفرض الصلاة، وأول ما صلي إلى الكعبة؛ كما يجيء مبيناً في تحويل القبلة، ويحتمل أنه بناه على أنه ﷺ كان متعبداً قبل النبوة بشرع موسى وكانت قبلته للقدس.

(وفيه أتاه الوحي في حال صبراه) من الصبر حبس النفس على الخلوة به والتعبّد فيه، وفي نسخ: مبدأه، والأولى أحسن؛ لعدم الإبطاء فإنه سيقول مبدأه رابع بيت بعد هذا: (وفيه تجلى الروح بالموقف الذي به الله في وقت البداء سواء وتحت تخوم الأرض) جمع تخم كفلس وفلوس، وهو منتهى كل قرية أو أرض أو حدودها، وقال ابن السكيت: تخوم مفرد، وجمعه: تخم، مثل صبور وصبر؛ كما في الصحاح وغيره.

(في السبع أصله) أي: أن أصله تحت الأرض السابعة، (ومن بعد هذا اهتز) تحرك طرباً بمن علاه (بالسفل) أي: بسبب تحرك أسفله وفاعل اهتز (أعلاه) معجزة، روى مسلم عن أبي هريرة: أنه ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال ﷺ: «اسكن حراء»، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»، ووقع ذلك لأحد وثبير أيضاً، ويأتي إن شاء الله تفصيله في المعجزات.

(ولما تجلى الله قدس ذكره) أي: أظهر من نوره قدر نصف أتملة الخنصر؛ كما في حديث صححه الحاكم. (لطور تشظى) أي: تفلق وتطاير منه قطع فصارت جبلاً، (فهو إحدى شظاياه) جمع شظى وهو كل فلقة من شيء، وتشظى العود: تطاير شظاً؛ كما في القاموس. (ومنها) أي: شظاياه، (ثبير) بثلاثة فموحدة فتحية فراء بوزن أمير، جبل مقابل حراء، وبينهما

ثم ثور بمكة كذا قد أتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة أيضًا ثلاث فعدها فعيروا وورقائًا وأحدًا رويناها
ويقبل في ساعة الظهر من دعا به وينادي من دعانا أجنبناه
وفي أحد الأقوال في عقبة سرا أتى ثم قابيل لهابيل غشاه

الوادي وهما على يسار السالك إلى مئى، حراء قبلى ثبير مما يلي شمال الشمس. (ثم ثور) بمثلثة
جبل (بمكة) به الغار المذكور في التنزيل دخله ﷺ في الهجرة (كذا قد أتى في نقل تاريخ
مبداه) أي: حراء، والله أعلم بصحته.

(وفي طيبة أيضًا) تشظى الطور، (ثلاث فعدها فعيروا) أي: فتشظى عيروا بفتح العين وسكون
التحتية وراء مهملة بلفظ مرادف الحمار جبلي قبلي المدينة قرب ذي الحليفة، قال فيه ﷺ:
«وعير يبغيضنا ونبغيضه، وإنه على باب من أبواب النار»، رواه البرار وغيره ولكن الناظم في عهده:
إن عيروا منها، فالذي رواه الواحدى مرفوعًا كما يأتي، وخكاه البغوي عن بعض التفاسير بدل عير
رضوى وهو بفتح الزاء وسكون الضاد المعجمة جبل بالمدينة على ما في الصحاح.

وفي حديث رضوى رضي الله عنه: وقُدس، فهذا المناسب؛ لكونه من شظايا الطور مع إنه
الوارد، لا عير العبغوض. (وورقائًا) بفتح الواو وكسر الراء وسكنها للنظم فقاف، قال في
القاموس: ورقان بكسر الراء جبل أسود بين العرج والرويفة بينين المنصعد من المدينة إلى مكة
حرسهما الله تعالى، (وأخذًا) بضم الهمزة والحاء وسكنها للوزن، العجل المشهور الذي قال فيه
المصطفى: «أخذ جبل يعذبنا ونحبه».

(رويناها) أخرج الواحدى عن أنس رفته: «لما تجلّى ربه للجبل جعله ذكًا طار لعظمته سنة
أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة: أحد وورقان ورضوى، ووقع بمكة: ثور وثبير وحراء». وقال البغوي:
وفي بغض التفاسير فذكره، ولم يرفعه في فتح الباري. أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي ملك رفته،
وهو غريب مع إرساله.

(ويقبل فيه) في حراء (ساعة الظهر) دعاء (من دعا به وينادي من دعانا أجنبناه وفي أحد
الأقوال في عقبة حراء) بالقصر والضم وسكون قاف عقبة للشعر، قال القاموس: العقبة
بالتحريك، أي: بفتح العين والقاف مرقى صعب من الجبال والجمع عقاب، (أئى ثم) جاء هناك
(قابيل) بن آدم (لهابيل) أخيه (غشاه) أي: قتله، قال الثعلبي: كان لهابيل يوم قتل عشرون سنة،
واحتفلوا في مضرعه وموضع قتله، فقال ابن عباس: على جبل ثور، وقال بعضهم: على عقبة
حراء، وقال جعفر الصادق: بالبصرة في المسجد الأعظم، انتهى.

ومما حوى سرًا حوته صخوره من التبر إكسيرا يقام سمعناه سمعت به تسبيحها غير مرة وأسمعته جمعًا فقالوا سمعناه به مركز موضع النور الإلهي مثبتًا فلله ما أحلى مقامًا بأعلاه وروى أبو نعيم أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال: ﴿اقرأ باسم

وذكر السدي بأسانيده أن سبب قتله أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن من ولده بأثني الآخر، وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل، فأراد قابيل أن يستأثر بأخته فمنعه آدم فلما ألح عليه به أمرهما أن يقربا قربانًا، ف قرب قابيل حزمة من زرع، وكان صاحب زرع؛ وقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب مواش، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قابيل، فكان ذلك سبب الشر بينهما، قال في فتح الباري: هذا هو المشهور.

ونقل الثعلبي بسنده عن جعفر الصادق أنه أنكر أن يكون آدم زوج ابنا له باهنة له، وإنما زوج قابيل جنية وزوج هابيل حورية، فغضب قابيل، وقال له: يا بني ما فعلته إلا بأمر الله، ف قربا قربانًا وهذا لا يثبت عن جعفر ولا عن غيره ويلزم منه أن بني آدم من ذرية إبليس؛ لأنه أبو الجن كلهم أو من ذرية الحور العين وليس لذلك أصل ولا شاهد، انتهى.

(ومما حوى) حراء (سرًا) هو لغة ما يكتم ويستعار للشيء النفيس، (حوته صخوره) أي: حراء، (من التبر) بالكسر: الذهب والفضة أو فتاتهما قبل أن يصابغا فإذا صيغا فهما ذهب وفضة، أو ما استخرج من المعدن قبل أن يصابغ، قاله القاموس.

(إكسيرا) بالكسر: الكيمياء؛ كما في القاموس. (يقام) يصابغ، ومعنى البيت (سمعناه) أي: روينا عن غيرنا تسبيحًا ويصدقه أنني (سمعت به) بحراء (تسبيحها) أي: صخوره (غيرة مرة) وأسمعته جمعًا فقالوا سمعناه) أي: نفس التسبيح بأذاننا فاندفع الإبطاء بوجه بدعي، (به مركز موضع النور الإلهي مثبتًا) ثابتًا (فلله ما أحلى) أعذب (مقامًا) بضم الميم وفتحها على ما في القاموس، أي: إقامة، (بأعلاه) وجعل الجوهرى الضم للإقامة من أقام يقيم، والفتح للموضع، قال: وقوله تعالى: ﴿لا مقام لكم﴾ [الأحزاب: ١٣]، أي: لا موضع لكم وقرئ بالضم، أي: لا إقامة لكم، انتهى.

واعلم: أن قوله: ولله درّ المرجاني إلى هنا ساقط في أكثر النسخ؛ لكنه ثابت في بعض النسخ القديمة المقروءة.

(وروى أبو نعيم) أحمد بن عبد الله الأصبهاني في دلائل النبوة من حديث عائشة، (أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه، ثم قال: جبريل ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١].

ربك»، الآيات، الحديث، وفيه: فقال ورقة: أبشر، أشهد بأنك الذي بشر بك المسيح ابن مريم، وأنت على مثل ناموس موسى، وأنت نبي مرسل. وكذا روى شق صدره الشريف هنا أيضًا الطيالسي والحرث في مسنديهما. والحكمة فيه: ليتلقى النبي ﷺ ما يوحى

وفي نسخة: قالوا: فإن كان محفوظًا فلعله نسبة لهما وإن كان القائل جبريل لإقرار ميكائيل مقالة جبريل ورضاه بها، (الآيات) إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾ [العلق: ٥]، (الحديث، وفيه: فقال ورقة: أبشر أشهد بأنك الذي بشر بك المسيح ابن مريم) في قوله: ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، (وأنت على مثل) أي: صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى) من مجيء الوحي لك كما جاء له، (وأنت نبي مرسل) وفيه دلالة ظاهرة على إيمانه.

(وكذا روى شق صدره الشريف هنا) عند مجيء الوحي، (أيضًا) وفاعل روى (الطيالسي) أبو داود سليمان بن الجارود البصري الحافظ الثقة كثير الحديث، روى عن ابن عون وشعبة وخلق، وعنه أحمد وابن المديني وغيرهما، علق له البخاري، وأخرج له مسلم والأربعة توفي سنة ثلاث أو أربع ومائتين عن اثنتين وسبعين سنة، (والحرث) بن محمد بن أبي أسامة واسمه داهر الحافظ أبو محمد التميمي البغدادي ولد سنة ست وثمانين ومائة، وسمع يزيد بن هرون وغيره وعنه ابن جرير والطبري وعدة، وثقه ابن حبان والحري مع علمه بأنه يأخذ على الرواية، وضعفه الأزدي وابن حزم، وقال الدارقطني: صدوق، وأما أخذه على الرواية فكان فقيرًا كثير البنات، توفي يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

(في مسنديهما) والبيهقي وأبو نعيم في دلائلهم كلهم عن عائشة: «أنه ﷺ نذر أن يعتكف شهرًا هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان، فخرج ذات ليلة، فقال: «السلام عليك، قال: فظننت أنها فجأة الجن، فجئت مسرعًا حتى دخلت على خديجة، فقالت: ما شأنك؟ فأخبرتها فقالت: أبشر فإن السلام خير، ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، فهلت منه فجئت مسرعًا فإذا هو بيني وبين الباب، فكلمني حتى أنست منه، ثم وعدني مواعداً فجئت له فأبطأ علي، فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدّ الأفق، فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا، ثم شقّ عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج، ثم غسله في طست من ماء زمزم، ثم أعاده مكانه، ثم لأمه ثم كفأني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت من الخاتم في قلبي».

(والحكمة فيه: أي: الشق، حيث هي كما قال في الفتح (ليتلقى النبي ﷺ ما يوحى

إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير.

قال ابن القيم وغيره: وكمل الله تعالى له من الوحي مراتب عديدة:

إحداها: الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه،

إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير.) وهذا الشق ثالث مرة، والأولى: عند حليلة، والثانية: وهو ابن عشر سنين، والرابعة: ليلة الإسراء، ولم تثبت الخامسة؛ كما مرّ ذلك مبسوطاً.

مراتب الوحي

(قال ابن القيم وغيره: وكمل الله تعالى له) أي: أعطاه (من الوحي مراتب) جمع مرتبة، أي: منازل، أي: أنواعاً انحصرت في مراتب (عديدة) هي هذه المراتب لا ما يتبادر من لفظ كمل وهو حصول وحي قبلها لعدم وجود شيء من الوحي قبل نزوله، وعبر بمراتب دون أنواع وإن عبر به الشامي إشارة لشرفها، وتعبير الحافظ كاليعمرى بحالات يوهم أنها غير الوحي ضرورة أن المضاف غير المضاف إليه، إلا أن تكون الإضافة بيانية، ومن في الوحي ابتدائية أو بيانية فلا وحي غير المراتب أو تبعيضية؛ لأنه عليه السلام لم يقع له مما يروى أن من الأنبياء من يسمع صوتاً ولا يراه فيكون نبياً، ففي أنه صوت ليس بحرف يخلق في الجو ويخلق في سامعه علم ضروري يعلم به المراد أو بحرف يسمعه من قصدت نبوته مع خلق علم ضروري أنه من الله احتمالان وأيضاً فهو لم يستوف المراتب لقوله الآتي: ويزاد... الخ.

(إحداها) أي: المراتب، وفي نسخة: أحدها بالتذكير نظراً إلى أن المراد بالمراتب الأنواع والتأنيث فيما بعدها نظراً للفظ، والأولى أنسب. (الرؤيا الصادقة) بعد النبوة أو قبلها لأنها مقررة لما بعدها. نعم، المختص بما بعدها الوحي بالأحكام التي يعمل بها، (فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح) كما مرّ عن عائشة واستدل السهيلي وغيره على أنها من الوحي، بقول إبراهيم: ﴿يا بني أني أرى في المنام أني أذبحك﴾ [الصافات: ١٠٢]، فدلّ على أن الوحي يأتيهم مناماً كما يأتيهم يقظة، وبرواية ابن أسحق: أن جبريل أتاه ليلة النبوة وغطه ثلاثاً وقرأ عليه أول سورة ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة، وفي الصحيح عن عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي، وقرأ ﴿يا بني﴾ الآية.

(الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه) وإطلاق الوحي على ذلك مجاز من إطلاق المصدر بمعنى اسم المفعول وحقيقة الوحي هنا الإعلام في خفاء أو الإعلام بسرعة، وشرعاً الإعلام بالشرع، قاله الشامي. (من غير أن يراه) وعلم أنه وحي دون الإلهام الذي لا يستلزم

كما قال ﷺ: إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفسي حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب الحديث رواه ابن أبي الدنيا

الوحي يعلم ضروري أنه وحي لا مجرد إلهام، كما خلق في جبريل أن المخاطب له الحق تعالى وأنه أمره بتبليغ من أراد، على نحو ما مر.

(كما قال ﷺ: «إن روح القدس نفث بفاء مثلثة (في روعي) أي: ألقى الوحي في خلدي وبالي أو في نفسي أو قلبي أو عقلي من غير أن أسمع ولا أراه، ومفعول نفث قوله: (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها) الذي كتبه لها الملك وهي في بطن أمها، فلا وجه للوله والكذب والتعب والحرص فإنه سبحانه قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب إرادته لا يتقدم ولا يتأخر، ولا يزيد ولا ينقص، بحسب علمه القديم الأزلي، ﴿وَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] فلا يعارض هذا ما ورد الصبغة تمنع الرزق، والكذب ينقص الرزق، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وغير ذلك مما في معناه، أو إن الذي يمنعه وينقصه هو الحلال أو البركة فيه لا أصل الرزق، وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني وأبي نعيم: «إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها».

وفي حديث جابر عند ابن ماجه: «أيها الناس، اتقوا الله وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم». وقال ﷺ: «إن الرزق ليطلب أحدهم كما يطلبه أجله»، رواه البيهقي وغيره وقال عليه السلام: «والذي بعثني بالحق إن الرزق ليطلب أحدهم كما يطلبه أجله» رواه العسكري. وقال ﷺ: «لا تستبطعوا الرزق فإنه لم يكن عبد يموت حتى يبلغ آخر الرزق، فأجملوا في الطلب»، رواه البيهقي وغيره.

(فاتقوا الله) أي: ثقوا بضمانه لكنه أمرنا تعبدًا بطلبه من حله، فقال: (واجملوا في الطلب) بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بلا كد ولا حرص ولا تهافت على الحرام والشبهات، أو غير منكبين عليه مشغولين عن الخالق الرازق به، أو بأن تعيّنوا وقتاً ولا قدراً؛ لأنه تحكم على الله أو ما فيه رضا الله لا حظوظ الدنيا، أو لا تستعجلوا الإجابة وقد أبدى العلامة العارف ابن عطاء الله في التنوير في معناه وجوهاً عديدة هذه منها، وفي أن طلب نحو المغفرة يمنع تعيينه نظراً، استظهر شيخنا المنع لجواز أنه تعالى يريد مغفرته على سبب لم يوجد وعلم أنه سيوجد، فطلب تعيينها تحكم. (الحديث) ، بقيته: «ولا يحملن أحدهم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

(رواه) بتمامه (ابن أبي الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفين بن قيس الأموي

في القناعة، وصححه الحاكم.

والروح - بضم الراء - أي نفسي، وروح القدس: جبريل عليه السلام.

مولاهم، أبو بكر البغدادي الحافظ صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، وثقه أبو حاتم وغيره. مات سنة إحدى وثمانين ومائتين. (في) كتاب (القناعة) والحاكم من حديث ابن مسعود (وصححه الحاكم) من طرق، ورواه ابن ماجه عن جابر ومز لفظه، والطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة الباهلي بنحوه.

قال الطيبي: والاستبطاء بمعنى الإبطاء، والسين للمبالغة، وفيه: أن الرزق مقدّر مقسوم لا بدّ من وصوله إلى العبد لكنته إذا سعى وطلب على وجه مشروع فهو حلال وإلا فحرام، فقوله: ما عنده، إشارة إلى أن الرزق كله من عنده الحلال والحرام، وقوله: أن يطلبه بعصية الله، إشارة إلى أن ما عنده إذا طلب بها سمي حراماً، وقوله: إلا بطاعته، إشارة إلى أن ما عنده إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالاً، وفيه دليل ظاهر لأهل السنة أن الحرام يسمّى رزقاً والكل من عند الله خلافاً للمعتزلة، انتهى. وفيه: أن الطلب لا ينافي التوكل.

وأما حديث ابن ماجه والترمذي والحاكم وصحّحاه عن عمر رفعه: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطائناً»، فقال الإمام أحمد: فيه ما يدلّ على الطلب لا القعود، أراد: لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين كالطير، لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم، وهذا خلاف التوكل. وفي الإحياء أن أحمد قال في القائل: أجلس لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي ﷺ: «إن الله جعل رزقي تحت ظلّ رمحي»، وقوله: «تغدو خماصاً وتروح بطائناً»، وكان الصحابة يتجرون في البرّ والبحر ويعملون في نخيلهم وبهم القدوة.

(والروح بضم الراء) لا بفتحها؛ لأن معناه الفزع ولا دخل له هنا، ورعى لفظ الحديث، فقال: (أي نفسي) وإلا فالظاهر، والروح النفس فهو مجاز شبه إلقاء جبريل بالنفث الذي هو دون التفل بالفوقية لعدم ظهوره، ولا ينافيه قول المصباح: نفث الله الشيء في القلب: ألقاه؛ لأنه بيان للمعنى المجازي إذا أسند لله لاستحالة الحقيقة عليه، وهذا يقتضي أن المراد به غير القلب، قال شيخنا: والظاهر أن المراد بهما واحد، وهو محل الإدراك وقد يشعر به لفظ الحديث.

(وروح القدس جبريل عليه السلام) سمي به لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب، فإنه المتولّي لإنزال الكتب الإلهية التي بها تحيا الأرواح الربّانية والقلوب الجسمانية كالمبدأ لحياة القلب؛ كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد، وأضيف إلى القدس لأنه مجبول على الطهارة والنزاهة من

الثالثة: كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، فقد كان يأتيه في صورة دحية الكلبي، رواه النسائي بسند صحيح من حديث ابن عمر.

وكان دحية جميلاً وسيماً، إذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه.
فإن قلت: إذا لقي جبريل النبي ﷺ في صورة دحية، فأين تكون روحه؟
فإن كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح،

العيوب، وخصّ بذلك وإن كانت جميع الملائكة كذلك؛ لأن روحانيته أتم وأكمل، ذكره الإمام الرازي وعليه يحمل قول الشامي: سمي به لأنه خلق من محض الطهارة. وقال الراغب: خصّ بذلك لاختصاصه بنزوله بالقدس من الله، أي بما يطهر به نفوسنا من القراءان والحكمة والفيض الإلهي.

المرتبة (الثالثة) خطاب الملك له حين (كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه) ويدعى خطابه (حتى يعي) أي: يفهم. (عنه ما يقول له) فحتى غائبة، (فقد) ثبت أنه (كان يأتيه في صورة دحية) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان؛ كما في النور. واقتصر الجوهرى على الكسر وقدمه المجد. وفي التبصير اختلف في الراجحة منهما، وهو بلسان أهل اليمن رئيس الجند ابن خليفة بن فضالة بن فروة (الكلبي) شهد المشاهد كلها بعد بدر.

(رواه النسائي) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ثم المصري، الحافظ أحد الأئمة المبرزين والأعلام الطوائف والحفاظ المتقنين، حتى قال الذهبي: هو أحفظ من مسلم، مات سنة ثلاث وثلاثمائة.

(بسند صحيح من حديث ابن عمر) وزعم أن مجيء جبريل على صورة دحية كان بعد بدر، إذ يبعد مجيئه على صورته قبل إسلامه ممنوع وسند أنه لا ضير في التمثيل بصورته لجمالها، وإن قبل إسلامه لعلم الله أولاً بأنه من السعداء وخير القرون، فكان يأتي على صفته، فلما رأى المصطفى دحية أخبر بأنه يأتيه في صورته، والأمور النقلية لا دخل فيها للعقول.

(وكان دحية جميلاً وسيماً) أي: حسن الوجه، ولذا كان (إذا قدم لتجارة خرجت الظعن) بضم الظاء المعجمة والعين المهملة جمع ظعينة، سميت بذلك لأن زوجها يظعن بها (لتراه) وفي النور حكوا أنه كان إذا قدم من الشام لم تبقى معصر إلا خرجت تنظر إليه، والمعصر: التي بلغت سن المحيض، (فإن قلت: إذا لقي جبريل النبي ﷺ في صورة دحية) مثلاً والمراد في غير صورته التي خلق عليها (فأين تكون روحه فإن كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح)

فالذي أتى لا روح جبريل ولا جسده، وإن كانت في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أم يبقى خاليًا من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد المشبه بجسد دحية.

فأجيب - كما ذكره العيني - بأنه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبًا موته، فيبقى الجسد حيًا، لا ينقص من معارفه شيء، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خضر، وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً، بل بعادة أجراها الله تعالى في بني آدم، فلا تلزم في غيرهم. انتهى.

حقيقة من لؤلؤ، أخرجه ابن منده.

وقول السهيلي: إنها في حقهم صفة ملكية وقوة روحانية، لا كأجنحة الطير. قال الحافظ: ممنوع فلا مانع من الحمل على الحقيقة إلا قياسه الغائب على المشاهد وهو ضعيف، وقال غيره: هذا التأويل لا يليق بالإمام السهيلي بل هو أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية ولا ينكر الحقيقة إلا من ينكر وجود الملائكة.

(فالذي أتى لا روح جبريل؛ لأن الفرض أنها في جسده الأصلي، (ولا جسده) لأنه لم يأت، (وإن كانت في هذا الجسد الذي هو صورة دحية) بقي جسده الأصلي بلا روح، (فهل يموت) ذلك (الجسد العظيم) أم لا يموت ولكن (يبقى خاليًا من الروح المنتقلة عنه إلى الجسد المشبه بجسد دحية) ولا يلزم من انتقالها موت الجسد العظيم، (فأجيب) باختيار ما بعد أم؛ كما سيقترنه (كما ذكره العيني) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي ولد في رمضان سنة اثنتين وستين وسبع مائة، وتفقه واشتغل بالفنون وبرع وولي الحسبة مرارًا وقضاء الحنفية وغير ذلك، ومات في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة، وفي بناء أجيب للمفعول إشعار بأن الجواب ليس له بل نقله فقط، وهو كذلك، فقد نقله بمعناه عن العز الحافظ في الفتح ونقل السؤال بعينه، والجواب أصحاب الحبائلك عنه، أي: الشيخ عز الدين بن عبد السلام.

(بأنه لا يبعد أن يكون انتقالها موجبًا موته فيبقى الجسد حيًا لا ينقص من معارفه شيء ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خضر) مع أنها بقبورها، (وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً) لتجويزه ذهاب الروح، ولا ت الجسد (بل بعادة أجراها الله تعالى في بني آدم، فلا تلزم في غيرهم، انتهى).

الرابعة: كأن يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه،

وحاصله: أنه يزول الزائد دون فناء. وقال إمام الحرمين: معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده إليه بعده، والسرّاج البلقيني يجوز أن يأتي هو جبريل بشكله الأول إلا أنه انضمّ فصار على قدر هيئة الرجل ومثال ذلك القطن إذا جمع بعد نفثه، وهذا على سبيل التقريب. قال في فتح الباري: والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً، بل معناه: أنه ظهر بتلك الصورة أنيساً لمن يخاطبه. والظاهر: أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الراي فقط، انتهى.

وفي الحبائك أجاب العلاء القونوي بجواز أن خصّه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الأصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حياً بما اتصل به من ذلك الأثر، وقد قيل: إنما سمي الأبدال أبدالاً؛ لأنهم قد يرحلون إلى مكان ويقيمون في مكانهم شبيهاً آخر شبيهاً بشبههم الأصلي بدلاً عنهم، وأثبت الصوفية عالماً متوسطاً بين عالم الأجساد والأرواح سموه عالم المثال، وقالوا: أنه ألطف من عالم الأجساد وأكثر من عالم الأرواح وبنوا على ذلك تجسّد الأرواح وظهورها في صورة مختلفة من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، ويجوز أن جسمه الأول بحاله لم يتغيّر وقد أقام شبيهاً آخر وروحه متصرفة فيهما جمعياً في وقت واحد، قال: والجواب بأنه كان يندمج إلى أن يصغر حجمه فيصير بقدر دحية ثم يعود كهيئته الأولى تكلف، وما ذكره الصوفية أحسن.

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي: لا قدرة للملائكة والجنّ على تغيير خلقهم والانتقال في الصورة، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إن فعلوه وتكلموا به نقلهم الله من صورة إلى صورة.

الحالة (الرابعة: كان يأتيه) مخاطباً له بصوت (في مثل) أي: صفة، (صلصلة) بمهملتين مفتوحين بينهما لام ساكنة، (الجرس) بجيم ومهملتين: الجلل الذي يعلّق في رؤوس الدواب، قاله الحافظ والمصنّف. وقال الشامي: الجرس مثال يشبه الجلل الذي يعلّقه الجاهل في رؤوس الدواب، انتهى.

قال في الفتح: والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي. وقال الخطابي: صوت متدارك يسمعه ولا يثبت أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، وقيل: صوت حفيف، أي: بمهملة وفاعين، دوي أجنحة الملك.

والحكمة في تقدّمه أن يقرع سمعه الوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره. (وكان أشده عليه) لأنه يرد فيه من الطباع البشرية إلى الأوضاع الملكية، فيوحى إليه كما يوحى إلى الملائكة؛ كما

يأتي في حديث أبي هريرة، ولأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب المعهود، ودل اسم التفضيل على أن الوحي كله شديد.

قال الحافظ: وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات، وقال شيخنا شيخ الإسلام، يعني البلقيني: سبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به؛ كما في حديث ابن عباس: وكان يعالج من التنزيل شدة. وقال بعضهم: إنما كان شديدًا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع، وقيل: نزوله هكذا إذا نزلت آية وعيد، وفيه نظر.

والظاهر: أنه لا يختص بالقرآن؛ كما في قصة المتضخ بالطيب بالحج، ففيه: أنه رآه ﷺ حالة نزول الوحي عليه وأنه ليغظ، فإن قيل صوت الجرس مذموم لصحة النهي عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه، والإعلام بأن الملائكة لا تصحبهم؛ كما في مسلم وأبي داود وغيرهما. والمحمود - وهو الوحي - هنا لا يشبه بالمذموم، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل، فالجواب: إنه لا يلزم من التشبيه تساوي المشبه بالمشبه به في الصفات كلها، بل ولا في أحص وصف له، بل يكفي اشتراكهما في صفة ما، والمقصود هنا بيان الجنس فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبًا لإفهامهم.

والحاصل؛ إن للصوت جهتين: جهة قوة وبها وقع التشبيه، وجهة طنين وبها وقع التنفير عنه وعمل يكونه زممار الشيطان، انتهى ببعض اختصار. وقال التوربشتي: لما سئل عليه السلام عن كيفية الوحي، وكان من المسائل العويصة التي لا يماط نقاب التفور عن وجهها لكل أحد، ضرب لها في الشاهد مثلاً بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء، تنبيهًا على أن إتيانها يرد على القلب في هيئة الجلال وأبهة الكبرياء، فتأخذ هيئة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب، وتلاقي من ثقل القول ما لا علم له به مع وجود ذلك، فإذا سري عنه وجد القول المقول بينا ملقى في الروح واقفًا موقع المسموع، وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعًا «إذا قضى الله في السماء أمرًا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاءًا»؛ لقوله: كأنها سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، انتهى.

هذا وقد روى أحمد والحاكم وصححه، والترمذي والنسائي عن عمر، قال: «كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي سمع عنده دوي كدوي النحل...» الحديث، فأفهم قوله عنده أن ذلك بالنسبة للصحابة، ولذا قال الحافظ: إنه لا يعارض صلصلة الجرس؛ لأن سماع الدوي بالنسبة للحاضرين،

حتى أن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، حتى إن راحلته لتبرك به في الأرض، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

كما شبهه عمر، والصلصلة بالنسبه إليه، كما شبهه به ﷺ بالنسبة إلى مقامه، انتهى. وجزم به في فتح القريب بأن سماعه كدوي النحل حين كان يتمثل له رجلاً، انتهى. وبه تعلم الصفة التي كان عليها حين خطابه بذلك الصوت.

(حتى) ابتدائية غائية متعلقة بمحذوف، أي: فتناوله مشقة عظيمة حتى (إن) بكسر الهمزة (جبينه ليتفصد) بقاء وصاد مهملة مشددة، أي يسيل، (عرقاً) بفتح الراء والنصب على التمييز، شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق من كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطوره على طبع البشر، وذلك ليلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة وقراءته بالقاف تصحيف، قاله العسكري وغيره.

قال الدماميني: والعجين غير الجبهة وهو فوق الصدغ، والصدغ ما بين العين والأذن، فلإنسان جبينان يكتفيان الجبهة، والمراد والله أعلم أن جبينيه معاً يتفصدان، وأفرده لجواز أنه يعاقب التثنية في كل اثنين بغنى أحدهما عن الآخر كالعينين والأذنين، تقول: عين حسنة، وتزيد عينيه معاً.

(في اليوم الشديد البرد) قال المصنف: الشديد صفة جرت على غير من هي له؛ لأنه صفة البرد لا اليوم. (حتى) الأولى بالواو كما في الشامية؛ لأنه عطف غاية على غاية لا غاية لل غاية. (إن راحلته لتبرك) بضم الراء (به في) أي: على (الأرض) كما رواه البيهقي في الدلائل في حديث عائشة، بلفظ: «وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جرائها من ثقل ما يوحى إليه».

(ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه) بكسر الخاء وتسكن تخفيفاً، (على فخذ زيد بن ثابت) الأنصاري النجاري أحد كتاب الوحي ومن كان يفتي في العصر النبوي، وروى أحمد بسند صحيح: «أفرضكم زيد»، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين. (فثقلت) بضم القاف (عليه، حتى كادت ترضها) بفتح الفوقية وشدة المعجمة تكسرهما؛ كما رواه البخاري عن زيد: «أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي».

لما ذكر ابن القيم دليل المرتبتين الأولتين، وكانت الثالثة والرابعة غير محتاجين لذكر الدليل لشهرته في الصحيحين والموطأ عن عائشة: أن الخثر بن هشام سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً،

قلت: وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سري عنه. وكنت أكتب وهو يملئ علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً. ولما نزلت عليه سورة المائدة، كادت أن ينكسر عضد ناقتة من ثقل السورة، ورواه أحمد والبيهقي في الشعب.

الخامسة: أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين

ولم يذكر دليل قوله: حتى إن راحلته تبرك به المصنّف تقوية لابن القيم، فقال:

(قلت: وروى الطبراني عن زيد بن ثابت، قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه) الوحي (أخذته برحاء) بضم الباء وفتح الراء وحاء مهملة والمدّ: شدة أذى الحصى وغيرها، (شديدة وعرق) بكسر الراء، (عرقاً) بفتحها، أي: رشح جلده رشحاً (شديداً مثل الجمان) بضم الجيم وخفة الميم، قال في الدرر: اللؤلؤ الصغار، وقيل: خرز يتخذ من الفضة مثله، (ثم سري) بضم السين المهملة وكسر الراء الثقيلة، أي: انكشف الوحي، (عنه، وكنت أكتب وهو يملئ عليّ) وربما وضع فخذه على فخذي حال الكتابة، (فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً) لظني كسرها، (ولما نزلت عليه سورة المائدة) لعل المراد بعضها، نحو: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ الآية [المائدة: ٣]، فإنه نزلت وهو ﷺ واقف بعرفة على راحلته؛ كما في الصحيح.

(كادت) هي، أي: ناقتة، (أن ينكسر) والأصل كادت ناقتة، أي: ينكسر عضدها، لكنه لما حول الإسناد عن الاسم الظاهر إلى الضمير لم يبق له مرجع تبيّن عليه، بقوله: (عضد ناقتة) فلا يرد أن المناسب كاد بالتذكير لتأويل الفعل بعده بمصدر، أي: كاد انكسار على إنه اسم كاد، (من ثقل السورة، ورواه أحمد والبيهقي في الشعب)، وهذه المراتب ثلاث من صفات الوحي، وواحدة من صفات حامله، وهي تمثله رجلاً.

المرتبة (الخامسة) وهي من صفات حامله أيضاً (أن يرى الملك) جبريل (في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح) كل جناح منها يسدّ أفق السماء حتى ما يرى في السماء شيء، (فيوحي) يوصل (إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين) إحداهما في الأرض حين سأله أن يريه نفسه، فراه في الأفق الأعلى، قال الحافظ ابن كثير: كانت والنبّي بغار حراء

كما في سورة النجم.

السادسة: ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها.

أوائل البعثة بعد فترة الوحي، والثانية عند سدره المنتهى.

(كما) دلّ عليه قوله تعالى (في سورة النجم) ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدره المنتهى﴾ [النجم: ١٣ - ١٤]، وروى أحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود: لم يرَ ﷺ جبريل في صورته الأصلية إلا مرتين، أمّا واحدة فإنه سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه سدّ الأفق، وأمّا الأخرى فليلة الإسراء عند السدرة. قال في الفتح: وهو مبين لما في صحيح مسلم عن عائشة: لم يره - يعني جبريل - على صورته التي خلق عليها إلا مرتين. ولترمذي من طريق مسروق عن عائشة: لم يرَ محمّد جبريل في صورته إلا مرتين، مرة عند سدره المنتهى، ومرة في أجساد. وهو يقوي رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة: كان ﷺ أوّل ما رأى جبريل بأجساد وصرخ: يا محمّد فنظر يمينًا وشمالاً فلم يرَ شيئاً فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال جبريل: يا محمد فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئاً ثم خرج عنهم فناداه فهرب ثم استعلن له جبريل من قبل حراء، ذكر قصّة إقراءه: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق: ١]، ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يخطفان البصر، فتكون هذه المرة غير المرتين وإنما لم تضمّها عائشة إليهما؛ لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته، والعلم عند الله تعالى، انتهى.

ووقع عند أبي الشيخ، عن عائشة: أنه ﷺ، قال لجبريل: «وددت أني رأيتك في صورتك الأصلية، قال: وتحبّ ذلك؟ قال: نعم، قال: موعدك كذا وكذا من الليل ببيع الخرق، فلقبه موعدة فنشر جناحاً من أجنحته فسدّ أفق السماء حتى ما يرى في السماء شيء».

وفي مرسل الزهري عند ابن المبارك في الزهد: أنه سأله أن يتراءى له في صورته الأصلية، قال: «إنك لن تطيق ذلك، قال: إني أحبّ أن تفعل، فخرج إلى المصلى في ليلة مقمرة فأثاء جبريل في صورته فغشي عليه حين رآه، ثم أفاق» الحديث، فإن صحّحاً فيمكن أنه أراه بعض صورته الأصلية؛ كما هو صريح قوله: فنشر جناحاً... الخ؛ لأنها مرة ثالثة على تمام الصفة، فلا يخالف ما في الصحيح ولا ما عدوه من خصائصه من رؤيته له مرتين على صورته الأصلية، وقد كنت أبديت هذا قبل وقوفي على كلام الفتح، الذي سقته فحمدت الله على الموافقة.

المرتبة (السادسة) وهي واللذان بعدها من صفات الوحي: (ما أوحاه الله إليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها)، كالجهاد، والهجرة، والصدقة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ كما صرح به في حديث أبي سعيد عند البيهقي: أن الله قال له

السابعة: كلام الله تعالى له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم موسى.
قال: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحًا بغير حجاب.
انتهى.

قال شيخ الإسلام الولي ابن عبد الرحيم العراقي: وكأن ابن القيم أخذ ذلك
من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول إسرافيل إليه بكلمات من الوحي قبل
جبريل.

ذلك ليلة الإسراء، وساقه المصنّف في المقصد السادس. وفي نسخة وغيره، قال شيخنا: وهي
أولى لشمولها السنن وفرض غير الصلوات.

المرتبة (السابعة: كلام الله تعالى منه إليه بلا واسطة، كما كلم موسى) ولا ينافي ذلك
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]؛ لأن معناه كما (قال)
البيضاوي: كلامًا خفيًا يدرك بسرعة؛ لأنه ليس في ذاته مركبًا من حروف مقطعة يتوقف على
متوِّجات متعاقبة، أو هو ما يعمّ المشافهة به؛ كما في حديث المعراج. وما وعد به في حديث
الرؤية والمهتف، كما اتفق لموسى في طوى والطور، ولكن عطف قوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾
[الشورى: ٥١] عليه يخصّه بالأوّل، فالآية دالة على جواز الرؤية لا على امتناعها، انتهى.

(وزاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهي: تكليم الله له كفاحًا) بكسر الكاف، أي: مواجهة، (بغير
حجاب، انتهى) كلام ابن القيم.

(قال شيخ الإسلام:) عبّر به على عاداتهم أن من ولي قاضي القضاة يطلقون عليه ذلك،
(الولي) أي: ولي الدين فهو من التصرف في العلم والراجح جوازه، واسمه أحمد (بن
عبد الرحيم) ابن الحسين (العراقي) المصري قاضيها الإمام العلامة الحافظ ابن الحافظ الأصولي
الفقيه ذو الفنون والتصانيف النافعة المشهورة، تخرّج في الفن بأبيه واعتنى به أبوه، فأسمعه الكثير
من أصحاب الفخر وغيره، واستعلى على أبيه، ولازم البلقيني في الفقه وأملى أكثر من ستمائة
مجلس، توفي في سابع عشرين شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة.

(وكان ابن القيم أخذ ذلك) المذكور من المراتب الخمسة الأوّل، (من روض السهيلي)
فإنه عدّها سبعا فذكر الخمسة وكلام الله من وراء حجاب، إمّا في اليقظة أو المنام ونزول
إسرافيل؛ فدع عنك احتمالات العقول لا تغترّ بها في روض النقول. (لكنه لم يذكر نزول إسرافيل
إليه بكلمات من الوحي) بعدما أوحى إليه جبريل أوّل سورة اقرأ (قبل) تتابع مجيء (جبريل) مع

فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل فكان يترأى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء، ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرءان.

وأما قوله - أعني ابن القيم -: السادسة، ما أوحاه الله إليه فوق السموات، يعني ليلة المعراج، السابعة كلام الله بلا واسطة. فإن أراد ما أوحاه إليه جبريل فهو داخل فيما تقدم، لأنه إما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الأصلية، أو على صورة الآدمي، وكلاهما قد تقدم ذكره،

أنه ذكره في الروض، بقوله: (فقد ثبت في الطرق الصحاح) بفتح الصاد وكسرها، (عن عامر الشعبي) التابعي (أن رسول الله ﷺ وكل به) أي: قرن، كما هو المنقول عن الشعبي فيما يأتي، بلفظ: فقرن بنبوته، (إسرافيل) على الثابت عن الشعبي لا ميكائيل وإن جزم به ابن التين، قاله الشامي: كالحافظ.

(فكان يترأى) أي: يظهر، (له) بحيث يراه النبي ﷺ (ثلاث سنين) بناء على الظاهر من الرؤية، وقيل: كان يسمعه ولا يراه فإن صح، فيحتمل أنه قبل النبوة وأنه بعدها، ولا يلزم من التراثي الرؤية بل مجرد الالتقاء، نحو: فلما تراءت الفعتان، أي: التقت، (ويأتيه بالكلمة) أي: اللفظ الذي يخاطبه به (والشيء) الأفعال والآداب التي يعلمه إياها وهذا أولى من أن الشيء تفسيري، (ثم وكل) قرن (به جبريل) ليوحى إليه ما يؤمر بتبليغه له (فجاءه بالقرءان) والوحي هكذا بقية كلام الروض، وكان المصنف حذفه؛ لأنه لم يقع في المسند عن الشعبي، كما يأتي فعله اقتصر على القرءان؛ لأنه الذي انفرد به جبريل، ولأنه أعظم المعجزات، وظاهر هذا الأثر: أن جبريل لم يأت تلك المدة وقد ورد أنه لم ينقطع عنه، وجمع بأنه كان يأتيه فيها أحياناً، وإسرافيل قرن به ليفعل معه كل ما يحتاج له، فقد اجتمعا في المجيء إليه فيها لكن أثر الشعبي هذا وإن صح إسناده إليه مرسل أو معضل وقد عارضه ما هو أصح منه؛ كما يأتي قريباً. وقد أنكر الواقدي كون غير جبريل وكل به، قال الشامي: وهو المعتمد، انتهى. فلذا لم يذكره ابن القيم.

(وأما قوله - أعني ابن القيم - السادسة ما أوحاه الله إليه فوق السموات، يعني: ليلة المعراج) مع قوله: (السابعة: كلام الله بلا واسطة) فلا يظهر التغاير بينهما حتى يجعلهما مرتبتين فلا يخلو من إرادة أحد أمرين، (فإن أراد ما أوحاه إليه جبريل)، أي: ما أوحاه الله إليه على لسانه (فهو داخل فيما تقدم) له من المراتب وذلك (لأنه إما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الأصلية، أو على صورة الآدمي وكلاهما قد تقدم ذكره) في كلامه، فلا يصح كونها

وإن أراد وحي الله إليه بلا واسطة - وهو الظاهر - فهي الصورة التي بعدها.
وأما قوله: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة: وهي تكليم الله له كفاً غير
حجاب، فهذا على مذهب من يقول أنه عليه السلام رأى ربه تعالى، وهي مسألة
خلاف يأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.
ويحتمل أن ابن القيم رحمه الله أراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل، وغاير
بينه وبين ما قبله باعتبار محل الأحياء، أي كونه فوق السموات، بخلاف ما تقدم،
فإن كان في

مرتبة مستقلة. (وإن أراد وحي الله إليه بلا واسطة) ملك (وهو الظاهر) المتبادر من قوله: أوحاه
الله إليه، (فهي الصورة التي بعدها) وهي السابعة، وأجاب شيخنا: بأنه أراد الشق الأول ويمنع دخوله
فيما قبله لجواز أنه أوحاه إليه بصفة من صفات الملائكة وليست صفته الأصلية، فإنه كما هو متمكن
من مجيئه على صورة بني آدم، متمكن من مجيئه على صورة ليست مألوفة، ولا هي صورته الأصلية.

(وأما قوله: وزاد بعضهم مرتبة ثامنة، وهي: تكليم الله له كفاً غير حجاب، فهذا) بناء
(على مذهب من يقول: أنه عليه السلام رأى ربه تعالى) وأما على مذهب من قال: لم يره، فلا
يصح عدها مرتبة زائدة لدخولها في السابعة، هذا تقريره.

قال شيخنا: ولا يتعين لجواز أنهما حالتان، وإن قلنا: يمنع الرؤية بأن يكون سمع الكلام
بمجردة لكن مرة على وجه غاية القرب اللائق به من كونه بعد مجاوزة الرفرف، ومرة فيما
دون ذلك، قال: ويجوز التغاير أيضاً.

وإن قلنا: رآه بأن يكون كلمه مرة بدون واسطة ملك بلا رؤية، ومرة بعد مجاوزة الرفرف
برؤية. (وهي مسألة خلاف) الراجع منه عند أكثر العلماء أنه رآه؛ كما قال النووي. (يأتي الكلام
عليها إن شاء الله تعالى) في المقصد الخامس، ويأتي فيه ذكر الحجب، وكم هي في نفس
كلام المصنف، وأنها بفرض صحتها، إنما هي بالنسبة إلى المخلوقين. أمّا هو تعالى فلا يجبه
شيء، ولذا قال ابن عطية ونقله عنه السبكي: معنى من وراء حجاب أن يسمع كلامه من غير أن
يعرف له جهة ولا خبراً، أي: من خفاء عن المتكلم لا يجده السامع ولا يتصور بذهنه، وليس
كالحجاب الشاهد، انتهى.

(ويحتمل) في وجه التغاير بين السادسة والسابعة، (أن ابن القيم رحمه الله أراد بالمرتبة)
السادسة وحي جبريل) لا ما هو الظاهر منه، (و) لكنّه (غاير بينه وبين ما قبله) من المراتب
الخمس، (باعتبار محل الأحياء، أي: كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم، فإن كان في

الأرض، ولا يقال، يلزم عليه أن تتعدد أقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها إلى النبي ﷺ وهو غير ممكن، لأننا نقول: الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير نوع الأرض على اختلاف بقاعها. انتهى.

قلت: ويزاد أيضًا:

كلامه تعالى له في المنام، كما في حديث الزهري أتاني ربي في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى

الأرض) والأولى جواب شيخنا المازي: أنه باعتبار الصفة، (ولا يقال: يلزم) على هذا الاحتمال (أن تتعدد أقسام) أي: أنواع (الوحي باعتبار البقعة) بضم الباء أكثر من فتحها: القطعة من الأرض وجمعها على الضم يقع كغرف، وعلى الفتح بقاع ككلاب وأول جنسية فيصدق بجميع الأماكن التي نزل عليه فيها، فلا يرد أن الأولى التعبير بالجمع، (التي جاء فيها إلى النبي ﷺ، وهو غير ممكن) لكثرة نزوله عليه في أماكن لا تحصى، (لأننا نقول: الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير الأرض على اختلاف بقاعها، انتهى) كلام الولي العراقي، ومحصله: أن جميع بقاع الأرض نوع واحد، وما في السماء نوع واحد، فلم يلزم تعدد أنواعه باعتبار البقعة.

(قلت: ويزاد أيضًا كلامه تعالى له في المنام) فقد عدّه في الروض منها، قال في الإتقان: وليس في القرآن من هذا النوع شيء فيما أعلم، نعم يمكن أن يعدّ منه آخر سورة البقرة وبعض سورة الضحى، (والألم نشرح)، واستدل على ذلك بأخبار. (كما في حديث الزهري) نسبة إلى جدّه الأعلى زهرة بن كلاب القرشي من رهط أمة أم النبي ﷺ اتفقوا على إتقانه وإمامته بسنده عن النبي ﷺ، قال: («أتاني) الليلة (رؤي) تبارك وتعالى (في أحسن صورة) أي: صفة هي أحسن الصفات، وفي رواية: أحسبه قال: في المنام، (فقال: يا محمد، أتدري) وفي رواية: هل تدري، (فيم يختصم الملائكة الأعلى)، قال في النهاية: أي: فيم تتناول الملائكة المقربون سؤالاً وجواباً فيما بينهم؟ وقال التوربشتي: المراد بالاختصاص التناول الذي كان بينهم في الكفارات والدرجات، شبه تناولهم في ذلك وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين، انتهى. أي: واستعير له اسمه ثم اشتق منه يختصم، فهو استعارة تصريحية بعبارة.

وقال البيضاوي: هو إما عبارة عن تبادرهم إلى كتب تلك الأعمال والصعود بها إلى السماء، وإما عن تناولهم في فضلها وشرفها وإزانتها على غيرها، وإما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضيلهم على الملائكة بسببها مع تفاوتهم في الشهوات وتماديهم في

الحديث.

ثم مرتبة أخرى، وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، لأنه اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعاً، وكان معصوماً من الخطأ، وهذا خرق للعادة في حقه دون الأمة، وهو يفارق النفث في الروح من حيث حصوله بالاجتهاد، والنفث بدونه. ومرتبة أخرى: وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية،

الجنائيات، انتهى. (الحديث) تمامه: «قلت: لا، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السلوات وما في الأرض، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يخاصم الملائ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات والدرجات. فالكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الأقدام إلى الجماعات وإسباغ الوضوء في المكاره، قال: صدقت يا محمد، ومن عمل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان في خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد! إذا صليت فقل: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، رواه بتمامه عبد الرزاق وأحمد والترمذي والطبراني، عن ابن عباس مرفوعاً. والترمذي وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ.

(ثم مرتبة أخرى، وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام)، على القول بأنه يجتهد، وإنما عدّ اجتهاده من مراتب الوحي؛ (لأنه اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام إذا اجتهد أصاب قطعاً) إما لظهور الحق له ابتداءً، وإما بالتبنيه عليه إن فرض خلافه فلا يقدح فيه القول بجواز وقوع الخطأ في اجتهاده، لكن لا يقرّ عليه. (وكان معصوماً من الخطأ) فلا يقع منه أصلاً على الصحيح، (وهذا خرق للعادة في حقه دون الأمة، وهو) أي: العلم الحاصل بالاجتهاد، (يفارق النفث) أي: ما يحصل به، (في الروح) فالمشبه به ليس نفس النفث؛ لأنه إلقاء الملك في الروح ولا يحسن تشبيه العلم به.

(من حيث حصوله بالاجتهاد وحصول النفث) أي: أثره؛ لأنه الحاصل في الروح (بدونه) أي: الاجتهاد، (ومرتبة أخرى، وهي: مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية) كما في الصحيحين عن أبي هريرة: كان النبي ﷺ بارز للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان... الحديث، وفي رواية: فأتاه جبريل، وفي آخره: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»، ورواه مسلم أيضاً عن عمر، بلفظ: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب

لأن دحية كان معروفاً عندهم، ذكره ابن المنير، وإن كانت داخله في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم.

وذكر الحلبي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً، فذكرها، وغالبها - كما قال في فتح الباري - من صفات حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكره الله أعلم.

شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منّا أحد، فهذا صريح في أنه تمثّل بصورة رجل غير دحية؛ (لأن دحية كان معروفاً عندهم، ذكره) أي: هذا النوع (ابن المنير) والأوفق ذكرها بالتأنيث؛ لقوله: مرتبة، ولقوله: (وإن كانت داخله في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم) لأنه صدرها بقوله: كان يتمثّل له الملك رجلاً، ولا ترد هذه على قول السبكي في تأنيته:

ولازمك الناموس إمّا بشكله وإما بنفث أو بحلية دحية

لأن هذه الأحوال الثلاثة لما غلبت لم يعتدّ بغيرها، ولذا قال: ولازمك، على أنه أراد لازمك على الصورة التي تعلم منها حين المجيء أنه وحي، وأمّا هذه فلم يعلم أنه جبريل حتى ولي؛ كما دلّ عليه قوله في الصحيح: ثم أدبر، فقال ردّوه فلم يروا شيئاً، وصرح به في حديث أبي عامر، بلفظ: «والذي نفس محمد بيده، ما جاءني قطّ إلا وأنا أعرفه إلا أن تكون هذه المرأة». وفي رواية سليمان التيمي وابن حبان: «والذي نفسي بيده، ما شبّه عليّ منذ أتاني قبل مرّتي هذه، وما عرفت به حتى ولي».

(وذكر الحلبي) بالتكبير نسبة إلى جد أبيه، فإنه العلامة البارع المحدث القاضي أبو عبد الله، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الشافعي الفقيه صاحب اليد الطولى في العلم والأدب والتصانيف المفيدة، مات في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمائة.

(أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً، فذكرها وغالبها كما قال في فتح الباري: من صفات حامل الوحي، ومجموعها) أي: جمعتها، (يدخل فيما ذكر، والله أعلم) ومنها ما في الإتيان: أن الملك يأتيه في النوم، وهل نزل عليه فيه قرآن أم لا؟ والأشبه أنه نزل كلّ يقظة، وفهم فاهمون من خبر مسلم وأبي داود والنسائي، عن أنس: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذا غفى إغفاء ثم رفع رأسه متبشّراً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «أنزل عليّ آناً سورة»، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أعطيناك الكوثر﴾ [الكوثر: ١] إلى آخرها، إن الكوثر نزلت في تلك الإغفاء؛ لأن رؤيا الأنبياء وحي. وأجاب الرافعي: بأنه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة، فقرأها عليهم وفشّرها لهم، أو الإغفاء ليست نوعاً بل هي البرحاء التي كانت تعتريه عند الوحي، قال صاحب الإتيان: والأخير أصحّ من

وذكر ابن المنير أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي، وخاطبه من غير كد، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس. انتهى.

الأول؛ لأن قوله: «أنزل عليّ آناً» يدفع كونها نزلت قبل ذلك، انتهى.

وهم من ذكر هذا عند قوله المازّ كلامه تعالى له في المنام؛ لأنه في الإتيان إنما ذكره في مجيء الملك مناماً، وما ذكر في تلك المرتبة إلا ما قدّمته عنه، ومنها: تصويره بصورة فحل من الإبل فاتحاً فاه ليلتقم أبا جهل لما أراد أن يلقي على النبي ﷺ حجراً كبيراً وهو يصلي، وأخبر عليه السلام أنه جبريل، ولما اقتضى منه دين الإراشي الذي مطلبه بثمان إبله وشكى لقريش فدلّوه على المصطفى استهزاء لعلمهم بشدة عداوته، فلما أتاه قال: لا تبرح حتى يأخذ حقه، فعيره قريش؛ فقال: رأيت فحلاً من الإبل لو امتنعت لأكلني، ذكرهما ابن إسحق.

(وذكر) القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بأنه (ابن المنير) الجروي الجذامي الاسكندري قاضياً وخطيباً المصقع الإمام العلامة البارع الفقيه الأصولي المفسر المتبحر في العلوم، ذو التصانيف الحسنة المفيدة والباع الطويل في التفسير والقراءات والبلاغة والإنشاء، توفي أول ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وستمائة عن ثلاث وستين سنة، قال العزّ بن عبد السلام: الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها ابن دقيق العيد بقوص، وابن المنير بالاسكندرية.

(أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد) خاص بالخير حيث أطلق كالعدة؛ كما قال الفراء ولذا عطف عليه، (وبشارة) بكسر الباء وتضمّ مختصة بالخبر، حيث أطلقت أيضاً لبيان المراد به، ولعله أراد بها ما قابل التخويف بالعذاب، فشمل القصص والأحكام وغيرها مما لم يصرّح فيه بالعذاب، على أن القصص باعتبار ما سيقّت له، فيها إيماء بأن من لم يؤمن ربما يصيبه ما أصاب من فيهم القصص.

(نزل الملك بصورة الآدمي، وخاطبه من غير كد) إتيان في تلقّي الوحي، (وإن نزل بوعيد) بشر لاخصاصه به كالإيعاد، (ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس) وظاهره: أنه لا فرق في انقسام ما نزل به إلى القسمين بين القرآن وغيره، ولعله أشار إلى أن هذا مراد ابن المنير، وإلا فالذي في كلامه تقسيم ما جاء به من القرآن إلى هذين ونظر فيه الحافظ بأن الظاهر: أنه لا يختص بالقرآن، ولما ذكر مراتب الوحي ناسب أن يذكر عدد مراتبه، وذكر غير المصطفى بياناً لزيادة كرامته على ربه، وهذا أولى من جعله استطراداً ولوقوعه في كلام الناقل عنه، فقال:

وقد ذكر ابن عادل، في تفسيره: أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة، ونزل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات. كذا قال رحمه الله.

وقد روي: أن جبريل بدى له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أنت رسولي إلى الجن والإنس، فادعهم إلى قول لا إله إلا الله

(وقد ذكر ابن عادل في تفسيره أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة، ونزل على آدم اثنتي عشرة مرة، ونزل على إدريس أربع مرات، وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة) وفي كلام الحافظ عثمان الديلمي أربعين فقط، (وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات) قال بعضهم: ثلاث مرات في صغره، وسبع مرات في كبره.

وزاد الحافظ الديلمي، كما نقله عنه تلميذه الشمس التتائي في شرح الرسالة: وعلى يعقوب أربعا، وعلى أيوب ثلاثا. وظاهره، كابن عادل: أنه لم يبلغهما عدد في غيرهم، وظاهرهما أيضا: أن نزوله على المذكورين يقظة، وفي الاتفاق عن بعضهم: أن الوحي إلى جميعهم مناما، إلا أولي العزم المصطفى ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى، فإنه كان يأتيهم يقظة ومناما. وقال بعض: للملك صورتان: حقيقية ومثالية، فالحقيقية لم تقع إلا للمصطفى، والمثالية هي الواقعة لبقية الأنبياء، بل شاركهم فيها بعض الصحابة، انتهى.

(كذا قال، رحمه الله:) تبرأ منه؛ لأنه لم يسنده ومثله يحتاج لتوقيف. (وقد روى) مرضه؛ لأن له طرقا لا تخلو من مقال لكنها متعددة يحصل باجتماعها القوة، واعتضاد بعضها ببعض فيفيد أن للحديث أصلا. (أن جبريل بدا) أي: ظهر، وفي نسخة: تبدى، والأولى أوفق باللغة. (له ﷺ) وهو بأعلى مكة؛ كما عند ابن إسحق، أي: بجبل حراء؛ كما في الخميس، وهو يفسر قول زيد بن حرثة عند ابن ماجه وغيره أن رسول الله ﷺ في أول ما أوحى إليه أنه جبريل فعلمه الوضوء، (في أحسن صورة وأطيب رائحة، فقال: يا محمدا إن الله يقرئك) بضم الياء والهمزة: من أقرأ، (السلام، ويقول لك: أنت رسولي إلى الجن والإنس)، لعله اقتصر عليهما؛ لقوله: (فادعهم إلى قول لا إله إلا الله) أي: ومحمد رسول الله، فلا ينافي أنه مبعوث إلى الملائكة أيضا على الأصح عند جمع محققين، منهم: البارزي وابن حزم والسبكي، أو لاختصاص الدعوة

ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج إلى السماء ورجع رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله، حتى أتى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم إن الله تعالى أقرها في السفر كذلك وأتمها في الحضر.

في الابتداء بهما، ويأتي إن شاء الله تعالى بسط ذلك في الخصائص. (ثم ضرب برجله الأرض) من إطلاق الكل على الجزء، بدليل رواية ابن إسحق وغيره، فهمز بعقبه بفتح السين وكسر القاف: مؤخر القدم.

(فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل) زاد ابن إسحق: ورسول الله ينظر إليه ليريه كيف الطهور إلى الصلاة، (ثم أمره أن يتوضأ) كما رآه يتوضأ، وروى أحمد وابن ماجه والحرث وغيرهم، عن أسامة بن زيد عن أبيه: أن جبريل أتى النبي ﷺ في أول ما أوحى إليه فأراه الوضوء والصلاة، فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه، (وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه)، زاد في رواية أبي نعيم عن عائشة: فصلّى ركعتين نحو الكعبة، (فعلمه الوضوء والصلاة، ثم عرج إلى السماء ورجع رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا مدر) محرّكة جمع مدرّة: قطع الطين اليابس أو العلك الذي لا رمل فيه والمدن والحضر؛ كما في القاموس.

(ولا شجر، إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله)، يحتمل أنه ﷺ كان يردّ عليها مكافأة وإن لم يكن واجباً، قال الدلجي: وردّ بأن السلام شرع للتحية وليست من أهلها وبأنه يتوقّف على بقل وفيه نظر، فإن المكافأة تكون ولو لغير الأهل، وهو لم يجزم به حتى طالب بنقل إنما أبداه احتمالاً وهو كاف في مثل هذا.

وسار ﷺ (حتى أتى خديجة، فأخبرها فغشي عليها من الفرح) زاد في رواية: ثم أخذ بيدها وأتى بها إلى العين فتوضأ ليريه الوضوء، (ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل)، زاد في رواية: وكانت أول من صلّى. وفي رواية أبي نعيم، فقالت: أرني كيف أراك، فأراها فتوضأت ثم صلت معه، وقالت: أشهد أنك رسول الله، (فكان ذلك أول فرضها) أي: الصلاة من حيث هي لا الخمس؛ لأن فرضها إنما كان صبح الإسرائ، وهذه وقعت عقب الوحي؛ كما مرّ. والمراد: أول تقديرها، (ركعتين) فلا يخالف ما يجيء عن النووي من أنه لم يفرض قبل الخمس إلا قيام الليل، (ثم إن الله تعالى أقرها) أي: شرعها على هيئة ما كان يصلّيها قبل (في السفر كذلك) ركعتين، (وأتمها في الحضر) أرياً وبهذا التقرير اندفع الإشكال.

وقال مقاتل: كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر/٥٥].

قال في فتح الباري: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك أصحابه، ولكن اختلف: هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فقيل: إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه/١٣٠]. انتهى.

وقال النووي: أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد،

(وقال مقاتل) بن سليمان البلخي المفسر: قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة. وقال وكيع: كان كذاباً. وقال النسائي: يضع الحديث، مات سنة خمس ومائة، وقيل بعدها. (كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة) وهي أول النهار، والمتبادر أنه كان يصليها قبل طلوع الشمس؛ كما يأتي عن الفتح. (وركعتين بالعشي) قبل غروبها، ويحتمل أنه كان يقرأ فيهما بما أتاه من سورة ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، حتى نزلت الفاتحة؛ (لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ﴾ [غافر: ٥٥] صلّ ملتبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، قيل: يرده ما جاء إن تاجروا قدم الحج في الجاهلية، فأتى العباس لبيتاع منه فرأى النبي ﷺ وخديجة وعلياً خرجوا من خباء، وصلى بهم حين زالت الشمس، وسأل التاجر العباس: فأخبره بهم وإن هذا الفعل صلاة مشروعة لهم ولا رد فيه، فقد قيل: العشي ما بين الزوال إلى الغروب، ومنه قيل للظهر والعصر: صلاتا العشي، وقيل: هو آخر النهار، وقيل: من الزول إلى الصباح، وقيل: من المغرب إلى العتمة.

(قال في فتح الباري: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً وكذلك أصحابه، ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة، أم لا؟ فقيل: إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، والحجة فيه) أي: الدليل له، (قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ﴾ [طه: ١٣٠]، أي: صلّ حال كونك ملتبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، (انتهى).

(وقال النووي: الإمام الفقيه الحافظ الأوحى القدوة المتقن البارع الورع الزاهد الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر التارك ملاذ الدنيا حتى الزواج المهاب عند الملوك شيخ الإسلام علم الأولياء: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن سري المبارك له في علمه وتصانيفه لحسن قصده، المتوفى في رابع عشر رجب سنة ست وسبعين وستمائة عن ست وأربعين سنة، (أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد) لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، [المدثر:

ثم فرض الله تعالى من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة، وأما ما ذكره في هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الإسراء.

ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه ﷺ وأحزنه.

وفتر الوحي: عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروح، وليحصل له التشوق إلى العود.

١، ٢] (ثم فرض الله تعالى من قيام الليل) عليه وعلى أمته، (ما ذكره في أول سورة المزمل) بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ، قم الليل إلا قليلاً﴾ [المزمل: ١، ٢]، نصفه أو أنقص منه قليلاً أو زد عليه، (ثم نسخه بما في آخرها) من قوله: ﴿فَأَقْرُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل: ٢٠]، إذ المراد: صلوا ما تيسر لكم، (ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة). فقد حكى الشيخ أبو حامد عن نصّ الشافعي: أن قيام الليل كان واجباً أول الإسلام عليه وعلى أمته، ثم نسخ عنه بما في آخر سورة المزمل وعن أمته بالصلوات الخمس، قال النووي: وهو الأصح، أو الصحيح.

وفي مسلم عن عائشة ما يدلّ عليه، انتهى. لكن الذي عليه الجمهور وأكثر أصحاب الشافعي وغيرهم: أنه لم ينسخ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، أي: عبادة زائدة في فرائضك، نعم نسخ الوجوب في حق الأمة وبقي الندب لأحاديث كثيرة.

(وأما ما ذكره في هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به، فيدلّ على أن فرضية الوضوء كانت قبل الإسراء). قال السهيلي: فالوضوء على هذا الحديث مكّي بالفرض مدني بالتلاوة؛ لأن آية الوضوء مدنيّة، وإنما قالت عائشة: فأنزل الله آية التيمم، ولم تقل آية الوضوء وهي هي؛ لأن الوضوء كان مفروضاً قبل، غير أنه لم يكن قرأناً يتلى حتى نزلت آية المائدة، انتهى. ثم عقب المصنّف هذا المبحث بفترة الوحي لبيان أن الوضوء والصلاة كانا عقب الوحي قبل الفترة، خلافاً لمن توهم أنهما بعد نزول المدثر، فقال: (ثم فتر الوحي فترة حتى شقّ عليه ﷺ وأحزنه) خوفاً أن يكون لتقصير منه، أو لما أخرجه من تكذيب من بلغه؛ كما مرّ عن عياض.

(وفتر الوحي) كما قال في الفتح (عبارة عن تأخره مدّة من الزمان، وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروح) بفتح الراء: الفرع، (وليحصل له التشوق إلى العود) فقد روى البخاري من طريق معمر ما يدل على ذلك، انتهى كلام الفتح. يعني: البلاغ

وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين، كما جزم به ابن إسحاق وفي تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان عن الشعبي: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، وكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة، وكذا رواه ابن سعد والبيهقي.

المذكور آخر الحديث السابق.

(وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين.) قال السهيلي: جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها سنتان ونصف، وفي رواية أخرى: أن مدة الرؤيا ستة أشهر، فمن قال: مكث بمكة عشرًا حذف مدة الرؤيا والفترة، ومن قال: ثلاث عشرة أضافهما، قال في الفتح: ولا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة كانت أيامًا، انتهى. وقال مغلطاي في الزهر: يخدش فيه ما في تفسير ابن عباس إنها كانت أربعين يومًا.

وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج: خمسة عشر. وفي تفسير مقاتل: ثلاثة أيام، ولعل هذا هو الأشبه بحاله عند ربه، لا ما ذكره السهيلي، وجنح لصحته، انتهى. وعلى فرض الصحة جمع بأنها كانت سنتين ونصفًا، فمن قال: ثلاثة جبر الكسر، ومن قال: سنتان ألفاه، والمراد بأربعين فما دونها: إن مدة الانقطاع بحيث لا يأتيه فيها إسرافيل ولا جبريل اختلفت، فأقلها ثلاثة أيام وأكثرها أربعون، وفي بعضها: خمسة عشر، وبعضها: اثنا عشر.

وقوله: (كما جزم به) أي: بأنها ثلاث سنين، (ابن إسحاق) مخالف لقول العيون تبعًا للروض وفترة الوحي لم يذكر لها ابن إسحاق مدة معينة، انتهى.

وهو الصواب، وتبع المصنف في ذلك الحافظ كما تبعه السيوطي ورد على الثلاثة جميعًا بالصراحة الشامي، فقال: هذا وهم بلا شك وعزو ذلك بالجزم لابن إسحاق أشد، انتهى. (ودليل كونها ثلاث سنين ما (في تاريخ الإمام أحمد) بن حنبل (يعقوب بن سفيان) الحافظ (عن الشعبي) عامر بن شراحيل التابعي، أنه قال: (أنزلت عليه) ﷺ (النبوة) وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، وكان يعلمه الكلمة) اللفظ الذي يخاطبه به، (والشئ) لأفعال الآداب التي يعلمها له، (ولم ينزل عليه القرآن على لسانه) لأن إنزال الكتب الإلهية من خصائص جبريل.

(فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام، فنزل عليه القرآن) وغيره (على لسانه.) وممّ أنه خصّ القرآن بالذكر لاختصاص جبريل به، (عشرين سنة، وكذا رواه) أي: أثر الشعبي (ابن سعد والبيهقي) وأثر الشعبي هذا وإن صحّ إسناده إليه مرسل أو معضل وكلاهما

فقد تبين أن نبوته عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة على إرساله، كما قال أبو عمر

من أقسام الضعيف وقد أنكره الواقدي، وقال: لم يكرم به من الملائكة إلا جبريل، قال الشامي: وهو المعتمد، انتهى.

وتوقف الحافظ فيه بأن المثبت مقدم على النافي إن لم يصحبه دليل نفيه، وجوابه قول الحافظ السيوطي: قد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن أبي عباس، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع جبريل طرفه إلى السماء، فقال: يا محمد! هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط، فجاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه، فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة.

قال جماعة من العلماء: هذا الملك إسرافيل، وأخرج الطبراني عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هبط عليّ ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل، فقال: أنا رسول ربّي إليك، أمرني أن أخبرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأولماً إليّ أن تواضع، فلو أنني قلت: نبياً ملكاً لسارت معي الجبال ذهباً»، قال: وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الأحاديث وهما ظاهرتان في أن إسرافيل لم ينزل إليه قبل ذلك، فكيف يصح قول الشعبي أنه أتاه في ابتداء الوحي؟ انتهى.

وفي شرح البخاري للمصنف تبعاً للفتح قول الشعبي: معارض بما روي عن ابن عباس أن الفترة المذكورة كانت أياً ما قلنا فلا يحتاج بمرسله لا سيما مع ما عارضه، انتهى. فلم تكن الفترة إلا أياً ما؛ كما قال مغلطاي: أنه الأشبه وصريح قوله في حديث البخاري المار: وفترة الوحي فترة حتى حزن حزناً غداً منه مرار كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال فكلاً أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل... الخ، وورد أنه لم ينقطع عنه كما مر، أي إلا أياً ما على أنه لو صح أن إسرافيل أتاه في الابتداء لم يمنع مجيء جبريل فكانا يختلفان في المجيء إليه زيادة إكرام له من ربه، وقد صرح في فتح الباري بأنه ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين بين نزول ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، و﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١]، عدم مجيء جبريل إليه بل تأخر نزول القرآن فقط، اهـ.

(فقد تبين) من جملة ما ساقه (أن نبوته عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة على إرساله) لأن نزول ﴿قم فأندر﴾ [المدثر: ٢]، إنما كان بعد الفترة الواقعة بعد النبوة، (كما قال أبو عمر) بن

وغيره، كما حكاه أبو أسامة بن النقاش. وكان في نزول سورة ﴿اقرأ﴾ نبوته، وفي سورة المدثر إرساله بالندارة والبشارة والتشريع، وهذا قطعاً متأخر عن الأول، لأنه لما كانت سورة ﴿اقرأ﴾ متضمنة لذكر أطوار آدمي: من الخلق والتعليم والإفهام، ناسب أن تكون أول سورة أنزلت، وهذا هو الترتيب الطبيعي، وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه إلى نبيه عليه الصلاة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة، ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما أسداه إليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي، ثم يأمره سبحانه وتعالى أن يقوم فينذر عباده.

عبد البرّ (وغيره؛ كما حكاه أبو أسامة بن النقاش، وكان الأول الفاء؛ لأنه بيان لسبق نبوته، (في نزول سورة ﴿اقرأ﴾ نبوته، وفي سورة المدثر إرساله بالندارة والبشارة والتشريع، وهذا قطعاً متأخر عن الأول) فيفيد المدعي، وهو سبق النبوة؛ (لأنه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر أطوار) جمع طور، أي: أحوال، (الآدمي من الخلق والتعليم والإفهام ناسب أن تكون أول سورة أنزلت، وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه إلى نبيه عليه الصلاة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة، ويمنّ عليه بذلك في معرض) بفتح الميم وكسر الراء، أي: موضع ظهوره (تعريف عباده بما أسداه) أوصله (إليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي، ثم يأمره سبحانه وتعالى أن يقوم فينذر عباده) فلهذه النكتة كانت النبوة سابقة، وقيل: هما متقارنان.

وذكر شيخنا فيما مرّ عن بعض شيوخه أنه الصحيح، قال: ويؤيده أن الرضوء والصلاة كانا أول الوحي مع نزول ﴿اقرأ﴾ [العلق: ١]، فإن مفاده أنه لم يأمر خديجة وعليّاً بهما إلا بعد الوحي إليه بذلك، وهذا عين الرسالة وتأخر إظهارها لا يضّر؛ لجواز أنه أمر بالتبليغ حالاً لمن علم ابنه وعدم إباته؛ كما كان يصلي مستخفياً، (والله أعلم) بحقيقة ذلك.

ذكر أول من آمن بالله ورسوله

(وكان أول) بالنصب (من آمن بالله وصدق) عطف تفسير، فالإيمان التصديق، (صديقة) بالرفع اسم كان ويجوز عكسه، الأول أولى إذ المجهول الأولية وأضافها لقوله: (النساء) أي: الدائمة الصدق منهم مع اختصاص الصديقة بالنساء دفعا لتوهم أنها صديقة الأمة فيوهم تميزها على أبي بكر، (خديجة) قاله ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي والأموي وغيرهم، قال النووي: عند جماعة من المحققين، وحكى الثعلبي وابن عبد البر والسهيلي عليه الاتفاق.

وقال ابن الأثير؛ لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين، (فقامت بأعباء) أي:

[ذكر أول من آمن بالله ورسوله]

وكان أول من آمن بالله وصدق صديقة النساء خديجة، فقامت بأعباء الصديقية. قال لها عليه الصلاة والسلام خشيت على نفسي، فقالت له: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً. ثم استدلت بما فيه من الصفات والأخلاق والشيم على أن من كان كذلك لا يخزي أبداً.

بالمشاق التي يطلب تحملها وفاء بحقوق (الصديقية) والأعباء في الأصل: الثقل، فشبه الأحوال بها مبالغة ودليل قيامها بتلك الحقوق أنه (قال لها عليه الصلاة والسلام) لما رجع يرجف فؤاده بعد مجيء جبريل له: (خشيت على نفسي، فقالت له: أبشر) بهمة قطع (فوالله لا يخزيك الله أبداً، ثم استدلت) على ذلك (بما فيه من الصفات) الحميدة كقري الضيف وحمل الكل، (والأخلاق) الزكية المرضية، أي: الملكات الحاملة على الأفعال الحسنة، (والشيم) بمعنى الأخلاق، فالمعطف مسافر وعطفهما على الصفات عطف سبب على مسبب، (على أن من كان كذلك لا يخزي أبداً) وهو من بديع علمها وقوة عارضتها.

قال ابن إسحاق: وأزرتة على أمره فحفف الله بذلك عنه، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ وتكذيب إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس، ولهذا سبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل إلى النبي ﷺ وهو بغار حراء كما في رواية الطبراني، وقال له: «اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»؛ كما في الصحيح.

وفي الطبراني: فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام. وفي النسائي: وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، وهذا من وفور رفقها حيث جعلت مكان ردّ السلام على الله الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره. قال ابن هشام: والقصب هنا اللؤلؤ المجوّف، وأبدى السهيلي لنفي الصخب والنصب لطيفة هي أنه ﷺ لما عاد إلى الإيمان أجابت طوعاً ولم تحوِّجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب، بل أزالته عنه كل تعب وأنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير، فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها، وقرأ السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ولم تسوّه ﷺ قط، ولم تغاضبه وجزاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته.

وكان أول ذكر آمن بعدها صديق الأمة، وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر، فأزره في الله. وعن ابن عباس أنه أول الناس إسلامًا، واستشهد بقول حسان بن ثابت: إذا تذكرت شجوى من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا خير البرية أتقاهما وأعدلها بعد النبي.....

(وكان أول) بالنصب والرفع على ما مرّ رجل (ذكر آمن بعدها صديق الأمة) لسبقه بتصديق النبي ﷺ، وروى الطبراني برجال ثقات: أن عليًا كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وحكمه الرفع فلا مدخل فيه للرأي، وقيل: كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الإسراء، (وأسبقها) أي: الأمة بعد خديجة (إلى الإسلام أبو بكر)، بدل أو عطف بيان لصديق على أنه اسم كان، وعلى أنه خبرها فهو خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة على المشهور، ويقال: كان اسمه قبل الإسلام عبد الكعبة، قاله الفتح.

وفي جامع الأصول يقال: كان اسمه في الجاهلية عبد ربّ الكعبة، فغيّره ﷺ إلى عبد الله، وينافيه ما روى ابن عساكر عن عائشة أن اسمه الذي سمّاه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق، إلا أن يكون سمي بهما حين الولادة، لكن اشتهر في الجاهلية بذلك وفي الإسلام بعبد الله، فمعنى سمّاه النبي ﷺ قصّر اسمه على عبد الله.

قال في الفتح: وكان يسمى أيضًا عتيقًا واختلف في أنه اسم أصلي له، أو لأنه ليس في نسبة ما يعاب به أو لقدمه في الخبر ولسبقه إلى الإسلام، أو لحسنه، أو لأن أمه استقبلت به البيت، وقالت: اللهم هذا عتيقك من الموت؛ لأنه كان لا يعيش لها ولد، أو لأن النبي ﷺ بشره بأن الله أعتقه من النار؛ كما في حديث عائشة عند الترمذي، وصححه ابن حبان، انتهى. قال الزمخشري: ولعله كني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة، انتهى. ولم أقف على من كناه به هل المصطفى أو غيره.

(فأزره) بالهمز، أي: واساه وعاونه، وبالواو شاذ؛ كما في القاموس. (في) نصر دين (الله) بنفسه وماله، (وعن ابن عباس: أنه أول الناس إسلامًا، واستشهد) ابن عباس، وفي لفظ: وتمثّل، (بقول حسان بن ثابت) الأنصاري (إذا تذكرت شجوا) أي: همًا وحزنًا يريد ما كابده أبو بكر، فأطلق عليه شجوا لاقتضائه ذلك، أو أراد حزنه مما حرى على المصطفى (من أخي ثقة) أي: صديق أو صاحب ائتمان، والمعنى: إذا تذكرت من يقتدى به في تحمل المشاق القلبية والبدنية لأجل صديقه، (فاذكر أخاك أبو بكر بما فعلا) صلة أذكر، وما مصدرية، أي: تذكر بفعله الجميل (خير البرية) بالنصب بدل من أبا بكر أو صفة له (أتقاهما) صفة بعد صفة والعاطف مقدم، (وأعدلها بعد النبي) تنازعه خير البرية وما عطف عليه وآل للعهد وهو المصطفى، فالمراد بالبرية

وأوفاهما بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدماً صدق الرسلا
رواه أبو عمر.

أُتمته، وبالبعديّة في رتبة الفضل لا الزمانيّة، فإن خيريته وما بعدها كان ثابتاً في حياته ﷺ، هكذا نبهنا عليه شيخنا العلامة البابلي لما قرأ قول البخاري باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ، أو أُل للاستغراق فالمراد بها من عدا الأنبياء.

(وأوفاهما) اسم تفضيل من وفى بالعهد، أي: أحفظها (بما حملا) أي: بالذي حملة عنه عليه السلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بحقوق الله وآدابه، وعطف على خير، قوله: (والثاني) للنبي ﷺ في الغار و(التالي) التابع له باذلاً نفسه مفارقاً أهله وماله ورؤاسته في طاعة الله ورسوله وملازمته ومعادياً للناس فيه جاعلاً نفسه وقاية عنه، وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصى، بحيث قال ﷺ: «إن من آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر»، وقال: «ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر، وإساني بنفسه وماله»، رواه الطبراني. وقال: «إن أعظم الناس علينا مثلاً أبو بكر زوجني ابنته وإساني بنفسه»، رواه ابن عساكر.

وقال الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعاً في هذه الآية، أي آية: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، غير أبي بكر، وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض؛ كما في حديث ابن عمر رفعه: «أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار»، فإنا نعم الجزاء (المحمود مشهده) بفتح الهاء، أي: الممدوح مكان حضوره من الناس؛ لأنه كما قال ابن إسحاق: كان رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان تاجراً ذا خلق حسن ومعروف، وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يَغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه جماعة عدّهم كما يأتي.

(وأول الناس قدماً) بكسر القاف وسكون الدال تخفيفاً، وأصلها الفتح، أي: قديماً، أو بضمّ القاف وسكون الدال، أي: تقدماً، وهو معمول لقوله: (صدق الرسلا) بالجمع؛ لأن تصديقه تصديق لجميعهم؛ كما في نحو: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وفي نسخة منهم بذل قدماً، أي: حال كونه معدوداً منهم لمهماتهم فصّرّح بأنه أول من بادر لتصديق المرسلين، وهو محل الاستشهاد من الأبيات والألف في آخر كل منها للإطلاق، وهو إشباع حركة الروي فيتولد منها حرف مجانس لها. (رواه أبو عمر) بن عبد البر، وكذا الطبراني في الكبير.

وممن وافق ابن عباس وحسانا على أن الصديق أول الناس إسلامًا، أسماء بنت أبي بكر، والنخعي وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر والأحنس.

وروى الترمذي عن أبي سعيد، قال: قال أبو بكر: ألت أول من أسلم (وممن وافق ابن عباس وحسانًا) بالصرف ومنعه على أنه من الحسن أو الحسن، قاله الجوهرى، لكن قال ابن ملك: المسموع فيه منع الصرف. (على أن الصديق أول الناس إسلامًا أسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين زوج الزبير المتوفاة بمكة سنة ثلاث وسبعين، وقد بلغت المائة ولم يسقط لها سن، ولم يتغير لها عقل.

(و) إبراهيم بن يزيد بن قيس (النخعي) بفتح النون والخاء المعجمة نسبة إلى النخع قبيلة الكوفي الفقيه الحافظ التابعي الوسط المتوفى وهو مختف من الحجاج سنة ست وتسعين، (وابن الماجشون) بفتح الجيم وكسرها وضم الشين، لفظ: فارسي لقب به؛ لأنه تعلق من الفارسية بكلمة: إذ لقي الرجل يقول: شوني شوني، قاله الإمام أحمد، أو لأنه لما نزل المدينة كان يلقي الناس ويقول: جوني جوني، قاله ابن أبي خيثمة أو لحمرة وجنتيه، سمي بالفارسية المايكون فعربه أهل المدينة بذلك، قاله الحربي.

وقال الغساني: هو بالفارسية الماهكون فعرب، ومعناه: المورود، ويقال: الأبيض الأحمر. وقال الدارقطني: لحمرة وجهه، ويقال: أن سكينه بالتصغير بنت الحسين بن علي لقبته بذلك، وقال البخاري في تاريخه الأوسط: الماجشون هو يعقوب بن أبي سلمة أخو عبد الله، فجرى على بنيه وبني أخيه.

(ومحمد بن المنكدر) بن عبد الله التيمي التابعي الصغير كثير الحديث عن أبيه، وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق، وعنه الزهري وملك وأبو حنيفة وشعبة والسفيانان، قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون، مات سنة ثلاثين، وقيل: إحدى وثلاثين ومائة.

(والأحنس) بفتح الهمزة وخاء معجمة ساكنة ونون مفتوحة وسين مهملة، ابن شريق بفتح المعجمة وكسر الراء وتحتية وقاف الثقفي، واسم الأحنس أبي حليف بني زهرة صحابي من مسلمة الفتاح، وشهد حنينًا وأعطى مع المؤلفة وتوفي أول خلافة عمر، ذكره الطبري وابن شاهين هذا على ما في النسخ.

والذي عند البغوي بذله والشعبي، وكذا رواه عنه في المستدرک ووقوع إسلام الصديق عقب خديجة؛ لأنه كان يتوقع ظهور نبوته عليه السلام لما سمعه من ورقة، وكان يومًا عند حكيم بن خرام إذ جاءت مولاة له، فقالت: إن عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم إن زوجها نبي

مرسل مثل موسى، فأنسل أبو بكر حتى أتى النبي ﷺ فأسلم.

وروى ابن إسحاق بلاغا: ما دعوت أحد إلى الإسلام إلا كانت عنده كبرة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر ما عكم عنه حين ذكرت له، قال ابن هشام قوله: ما عكم، أي: تلبث. قال في الروض: وكان من أسباب توفيق الله له أنه رأى القمر نزل مكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة، ثم كان جمعه في حجرة فقصها على بعض الكتابيين فعبثها له بأن النبي المنتظر الذي قد أطل زمانه يتبعه ويكون أسعد الناس به، فلما دعاه ﷺ إلى الإسلام لم يتوقف.

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة وابن ظفر في البشر عن ابن مسعود: أن أبا بكر خرج إلى اليمن قبل البعثة، قال: فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا، فقال: أحسبك حرميا؟ قلت: نعم، وأحسبك قرشيا؟ قلت: نعم، وأحسبك تيميا؟ قلت: نعم، قال: بقيت لي فيك واحدة، قلت: وما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنك، قلت: لا أفعل، أو تخبرني لم ذاك، قال: أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل، أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعليه فخذة اليسرى علامة، وما عليك إلا أن تريني ما سألتك، فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خفي علي، فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي، فقال: أنت هو ورب الكعبة! وإنني متقدم إليك في أمره، قلت: وما هو؟ قال: إيتاك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى، وخف الله فيما تحوّل وأعطاك فقضيت باليمن أربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه، فقال: أحامل أنت مني أبنائا إلى ذلك النبي؟ قلت: نعم، فذكر أبنائا، فقدمت مكة، وقد بعث ﷺ فجاءني صناديد قريش، فقلت: نأبكم أو ظهر فيكم أمر؟ قالوا: أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي، ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك، فصرفتهم على أحسن شيء وذهبت إلى النبي ﷺ، فقرعت عليه الباب فخرج إلي، فقلت: يا محمدا قد دخت منازل أهلِكَ وتركك دين آبائك؟ فقال: «إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فأمن بالله»، قلت: وما دليلك؟ قال: «الشيخ الذي لقيه باليمن»، قلت: وكم لقيت من شيخ باليمن، قال: «الذي أفادك الأبيات»، قلت: ومن أعبرك بهذا يا حبيبي؟ قال: «العلك المعظم الذي يأتي الأنبياء قبلي» قلت: مَد يدك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، فأنصرفت وقد سر ﷺ بإسلامي. وفي سبائك نكارة، فإن كان محفوظا أمكن الجمع بأن سفره لليمن قبل البعثة؟ كما صرح به ورجوعه عقب إسلام خديجة، واجتماع بعثكم وسميع الخبر عنده ونفيه الضمنايد، وقالوا له ما ذكر، فأثاه ﷺ وأمن به

وقيل: إن علي بن أبي طالب أسلم بعد خديجة، وكان في حجر النبي ﷺ. فعلى هذا يكون أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ويكون علي أول صبي أسلم، لأنه كان صبيًا لم يدرك، ولذا قال:

بعد حصول الأمرين.

وأما الجمع بأنه آمن به أولاً ثم سافر إلى اليمن ولم يظهر إسلامه لقومه، فلما رجع وأخبروه بذلك أتى المصطفى وأظهر إسلامه بين يديه ثنيًا، ففاسد لتصريحه بأن سفره قبل البعثة، ولأنه لو كان آمن ما خاشنه في الخطاب، بقوله: يا محمد! قدحت... الخ، على أنه مما لا يليق التفوّه به في هذا المقام، كيف وقد صرح غير واحد، منهم ابن إسحق بأنه لما أسلم أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله.

(وقيل: إن علي بن أبي طالب الهاشمي (أسلم بعد خديجة) قبل الصديق، قطع به ابن إسحق وغيره محتجين بحديث أبي رافع: «صلى النبي ﷺ أول يوم الاثنين، وصلى خديجة آخره، وصلى علي يوم الثلاثاء»، رواه الطبراني، وبما في المستدرک: نبى النبي يوم الاثنين، وأسلم علي يوم الثلاثاء، وروى ابن عبد البر: أن محمدًا بن كعب القرظي سئل عن أولهما إسلامًا، فقال: سبحان الله على أولهما إسلامًا، وإنما اشتبه على الناس؛ لأن عليًا أخفى إسلامه عن أبيه وأبو بكر أظهره، (وكان) مما أنعم الله به عليه؛ كما قال ابن إسحق: إنه كان (في حجر) مثلث الحاء، أي: منع (النبي ﷺ) وكفالاته وحفظه مما لا يليق به، وذلك أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال للعباس، وكان من أيسر بني هاشم: «يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفهما عنه»، قال العباس: نعم، فانطلقا حتى أتياه وأخبراه بما أراد، فقال: إذا تركتmani عقيلًا، ويقال: وطالبًا، فاصنعا ما شئتما، فأخذ المصطفى عليًا، فلم يزل معه حتى بعثه الله فأتبعه وآمن به وصدّقه، وأخذ العباس جعفرًا فلم يزل عنده حتى أسلم، واستغنى عنه.

(فعلى هذا) المذكور من كونه في حجر النبي لا تنافي بين القولين في أيهما بعد خديجة لإمكان الجمع؛ كما قال السهيلي بأنه (يكون أول من أسلم من الرجال) البالغين (أبو بكر، ويكون علي أول صبي أسلم؛ لأنه كان صبيًا لم يدرك) أي: لم يبلغ، (ولذا قال) علي: ما حكى أن مغوية كتب إليه: يا أبا حسن، إن لي فضائل أنا صهر رسول الله ﷺ وكتابه، فقال علي: والله ما أكتب إليه إلا شعراً، فكتب:

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي
وكان سن علي إذ ذاك عشر سنين، فيما حكاه الطبري.
وقال ابن عبد البر: وممن ذهب إلى أن علياً أول من أسلم من الرجال:

وجعفر الذي يضحى ويمسي يطير مع الملائكة ابن أُمّي
وبنت محمد سكني وعرسي مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطاً أحمد ابنائي منها فمن منكم له سهم كسهمي
(سبقتكم إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي)
فلما قرأ مغوية الكتاب، قال: مزقه يا غلام لا يراه أهل الشام، فيميلوا إلى ابن أبي طالب.
قال البيهقي: هذا الشعر مما يجب على كل متوان في عليّ حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام.
وطراً بضم الطاء المهملة وفتحها، أي: جميعاً وما بلغت بيان للمراد من صغيراً؛ لأن الصغر
يتفاوت. وحلمي بضم المهملة وسكون اللام على إحدى اللغتين والثانية بضمهما، أي: احتلامي،
أي: خروج المنّي. وزعم المازني، وصوبه الزمخشري: أنه لم يقل غير بيتين هما:
تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما برّوا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر
وذات ودقين الداهية كأنها ذات وجهين، ذكره القاموس. وهو مردود بما في مسلم، فقال
علي، أي: مجيئاً لمرحب اليهودي:
أنا الذي سمّنتي أُمّي حيدرهِ كليث غابات كريح المنظرهِ
أو فيهم بالصاع كيل السندره
وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي، عن أم سلمة: وقال عليّ بن أبي طالب:
لا يستوي من يعمر المساجدا بدأت فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا
(وكان سنّ عليّ إذ ذاك عشر سنين، فيما حكاه الطبري) وهو قول ابن إسحاق: واقتصر
المصنّف عليه لقول الحافظ أنه أرجح الأقوال، وروى ابن سفيّان بإسناد صحيح عن عروة، قال:
أسلم عليّ وهو ابن ثمان سنين، وصدّر به في العيون، لكن ابن عبد البرّ بعد أن حكاه عن أبي
الأسود يتيم عروة، قال: لا أعلم أحداً قال كقوله، وقيل: اثنتي عشرة، وقيل: خمس عشرة،
وقيل: ستّ، وقيل: خمس، حكاها العراقي.
(وقال ابن عبد البرّ: وممن ذهب إلى أن علياً أول من أسلم من الرجال) أي: الذكور

سلمن وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري، وزيد بن الأرقم، وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم.

قال: واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً.

وقيل: أول رجل أسلم ورقة بن نوفل. ومن يمنع، يدعى أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته.

وإن كان صبيّاً، (سلمن) الفارسي (وأبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري الزاهد أحد السابقين، روى الطبراني عنهما، قالاً: أخذ ﷺ بيد عليّ، فقال: «إن هذا أول من آمن بي»، (وخباب) بفتح المعجمة وشدّ الموحدة فألف فموحدة ابن الإرث بشدّ الفوقية التميمي البصري أحد السابق، روى عنه علقمة وقيس بن أبي حازم، توفي سنة سبع وثلاثين. (وجابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، (وأبو سعيد)، سعد بن مملك بن سنان، (الخدري) بدال مهملة، (وزيد بن الأرقم) بن زيد بن قيس الخزرجي أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، مات سنة ست أو ثمان وستين، والروايات عن هؤلاء بكونه أول من أسلم عند الطبراني بأسانيده، ورواه، أعني الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس موقوفاً، وبسند ضعيف عنه مرفوعاً، ورواه الترمذي من طريق آخر عنه موقوفاً. (وهو قول) محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله (ابن شهاب) نسب إلى جدّ جدّه لشهرته، (وقتادة) بن دعامة الأكمه (وغيرهم) بالرفع، أي: غير سلمن، ومن عطف عليه كأبي أيوب ويعلى بن مرة وعفيف الكندي وخزيمة بن ثابت وأنس؛ كما أسنده عنهم الطبراني، (قال) الحافظ في التقريب: ورجّحه جمع، وجملة: وهو قول معترضة ويصحّ جر غير بناء على أن الجمع ما فوق الواحد، وأنشد المرزبان لخزيمة في عليّ:

أليس أول من صلّى لقبلكم وأعلم الناس بالقرءان والسنن

وقال كعب بن زهير من قصيدة يمدحه بها:

إن عليّاً لميمون نقيبته بالصالحات من الأفعال مشهور
صهر النبي وخير الناس مفتخرًا فكل من رame بالفخر مفخور
صلّى الطهور مع الأُمّي أولهم قبل المعاد وربّ الناس مكفور

(واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً)، من جملة كلام ابن عبد البر، ووافقه على حكاية الاتفاق الثعلبي والسهيلي، (وقيل: أول رجل) خرجت خديجة؛ لأنها آمنت قبل ذهابها بالمصطفى إليه، (أسلم ورقة بن نوفل) قال جماعة ومنعه آخرون، (و) لكن (من يمنع) إنه أول من أسلم (يدعى) تأخر الرسالة عن النبوة (وأنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته) التي لا يحكم

لكن جاء في السير، وهي رواية أبي نعيم المتقدمة أنه قال: أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل، وإنك ستؤمر بالجهاد، وإن أدرك ذلك لأجاهدن معك. فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد ﷺ.

بالإسلام إلا لمن آمن بعدها (لكن) لا تسلم له هذه الدعوى، فقد (جاء في السير) كما في زيادات المغازي من رواية يونس بن بكير، عن ابن إسحاق عن عمرو بن أبي إسحاق عن أبيه، عن أبي ميسرة التابعي الكبير مرسلًا (وهي رواية أبي نعيم المتقدمة) قريبًا قبل مراتب الوحي مسندة عن عائشة: (أنه) أي: ورقة، (قال: أبشر فأنا أشهد) أقر وأذعن (أنك) الرسول (الذي بشر به ابن مريم، وإنك على مثل) أي: صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى، وإنك نبي مرسل) تأكيد زيادة في تطمينه، (وإنك ستؤمر بالجهاد) علم ذلك من الكتب القديمة لتبحره في علم النصرانية، (وإن أدرك ذلك لأجاهدن معك) وفي آخر هذا الحديث: فلما توفي، قال ﷺ: «لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير؛ لأنه آمن بي وصدقني»، وأخرجه البيهقي في الدلائل أيضًا، وروى ابن عدي عن جابر مرفوعًا: «رأيت ورقة في بطنان الجنة عليه السندس»، ورواه ابن السكن بلفظ: «رأيت ورقة على نهر من أنهار الجنة».

(فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد ﷺ) لكل يجوز أنه قاله قبل الرسالة؛ لعلمه بالقرائن الدالة على ذلك، فيكون كبحيرا سيما وقد مر أن ذهاب خديجة لورقة كان عقب نزول ﴿اقرأ﴾ [العلق، ١]، ولم تتأخر وفاته وإلى هذا أشار الحافظ، فقال: حديث الصحيح ظاهر في أنه أقر بنبوته، ولكنه مات قبل أن يدعو الناس إلى الإسلام، فيكون مثل بحيرا، وفي إثبات الصحبة له نظر. وتعقبه تلميذه البرهان البقاعي، فقال: هذا من العجائب، كيف يماثل من آمن بأنه قد بعث بعدما جاءه الوحي فانطبق عليه تعريف الصحابي الذي ذكره في نخبته بمن آمن أنه سيبعث، ومات قبل أن يوحى إليه.

قال العلامة البرماوي: ليس ورقة من هذا النوع؛ لأنه اجتمع به بعد الرسالة لما صح في الأحاديث أنه جاء له بعد مجيء جبريل وإنزال اقرأ، وبعد قوله: أبشر يا محمد، أنا جبريل أرسلت إليك وإنك رسول هذه الأمة، وقول ورقة: أبشر... وذكر ما ساقه المصنف، وقال بعده: ورؤيته عليه السلام لورقة في الجنة وعليه ثياب خضر، وجاء أنه قال «لا تسبوه، فإني رأيت له جنة أو جنتين»، رواه الحاكم في المستدرک. وأما قوله الذهبي في التجريد، قال ابن منده: اختلف في إسلامه والأظهر أنه مات بعد النبوة، وقيل: الرسالة، فبعد لما ذكرناه فهو صحابي قطعًا بل أول الصحابة كما كان شيخنا شيخ الإسلام يعني البلقيني يقرره، انتهى.

قال البلقيني: بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال. وبه قال العراقي في نكته على ابن الصلاح. وذكره ابن منده في الصحابة.

وحكى العراقي: كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء، وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه.

وادعى الثعلبي

ونقل كلام البلقيني، بقوله: (قال) شيخ الإسلام علامة الدنيا سراج الدين، أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر (البلقيني) الحافظ الفقيه البارع المجتهد المفنن المصنّف، المتوفى سنة خمس وثمانمائة بضّم الموحدة وسكون اللام والياء وكسر القاف، نسبة إلى قرية بمصر قرب المحلة؛ كما في اللب والمراصد والنسخ المعتمدة من القاموس، خلاف ما في بعضها من أن بلقين كغريق، (بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال). وذكره وإن استفيد مما قدمه؛ لأنه على أنه بعد الرسالة ولم يتقدم تصريح به (وبه قال العراقي) الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم (في نكته على) كتاب (ابن الصلاح) في علوم الحديث وبه جزم في نظم السيرة، حيث قال: فهو الذي آمن بعد ثانيا، وكان برًا صادقًا موثوقًا، (وذكره ابن منده في الصحابة) حاكيا الخلاف؛ كما مرّ، وذكره فيهم أيضًا الطبري والبعوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم كما في الإصابة، وحسبك بهم حجة، ومرّ أن الصحيح أن النبوة والرسالة متقارنان.

وروى الزبير بن بكار عن عروة: أن ورقة مرّ ببلال وهو يعذب برمضاء مكة ليشرك، فيقول: أحد أحد، فقال ورقة: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنّاء، قال في الإصابة: وهذا مرسل جيّد، يدلّ على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبي ﷺ إلى الإسلام، والجمع بينه وبين قول عائشة: فلم ينشب ورقة أن توفي، أي: قبل أن يشتهر الإسلام ويؤمر المصطفى بالجهاد، قال: وما روي في مغازي ابن عائذ، عن ابن عباس: أنه مات على نصرانيته، فضعيف، انتهى باختصار. وقد أُرِخ الخميس وفاة ورقة في السنة الثالثة من النبوة، قال: وفي المنتقى في السنة الرابعة، قلت: وما وقع في الخميس من قوله، وفي الصحيحين عن عائشة: أن الوحي تتابع في حياة ورقة، فغلط إذ الذي فيهما عنها: فلم ينشب ورقة أن توفي.

(وحكى العراقي كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء) وقال الحاكم: لا أعلم فيه خلافاً بين أصحاب التواريخ، قال: والصحيح عند الجماعة إن أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين؛ لحديث عمرو بن عبسة، يعني: حيث قال للنبي ﷺ: من معك على هذا؟ قال: «حر وعبد»، يعني أبا بكر وبلالاً، رواه مسلم ولم يذكر علياً لصغره. (وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه) فقال: اتّفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم علي بعدها، (وادّعى الثعلبي) أحمد بن

اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو فيمن أسلم بعدها.

قال ابن الصلاح: والأورع أن يقال:
أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر.
ومن الصبيان أو الأحداث علي.
ومن النساء خديجة.
ومن الموالي زيد بن حارثة.

محمد بن إبراهيم، أبو إسحق النيسابوري صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء.
قال الذهبي: وكان حافظاً رأساً في التفسير والعربية متين الديانة والزهادة، مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربعمائة، ويقال له: الثعلبي والثعالبي، (اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو فيمن أسلم بعدها) هل الصديق أو علي أو ورقة؛ لأنها آمنت قبل مجيئها بالمصطفى له لما أخبرها عن صفة ما رأى في الغار لما ثبت عندها قبل ذلك عن بحيرا وغيره أنه النبي المنتظر، وقيل: زيد بن حارثة ذكره معمر عن الزهري، وقدمه ابن إسحق على الصديق، فقال: أول من آمن خديجة، ثم علي، ثم زيد، ثم أبو بكر، انتهى. وقيل: بلال وذكر عمر بن شبة إن خالد بن سعيد بن العاصي أسلم قبل علي، وذكر ابن حبان أنه أسلم قبل الصديق.

(قال) شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمر وعثمان (بن الصلاح) بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهروري الإمام الحافظ المتبحر في الأصول والفروع والتفسير والحديث، الزاهد وافر الجلالة المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

(والأورع) أي: الأدخل في الورع والأسلم من القول بما لا يطابق الواقع (أن) لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين على الحقيقة؛ لكونه هجومًا على عظيم وتعارض الأدلة فيه وعدم وجود قاطع يستند عليه بل يذكر قول يشمل جميع الأقوال، بأن (يقال أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث) تنويع في العبارة، (علي، ومن النساء خديجة) وسبق ابن الصلاح لهذا الجمع إلى هنا الخبر، فأخرج ابن عساكر عن ابن عباس، قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، فتبعه العسكري وابن الصلاح، وزاد العبيد والموالي، فقال: (ومن الموالي زيد بن حارثة) حب المصطفى ووالد حبه أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة بأربعمائة درهم فاستوهبه النبي ﷺ منها فوهبته

ومن العبيد بلال. والله أعلم، انتهى.

وقال الطبري: الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال:

أول من أسلم مطلقاً خديجة.

وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب، وهو صبي لم يبلغ، وكان مستخفياً

بإسلامه.

وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة.

وأول من أسلم من الموالي زيد.

قال: هو متفق عليه لا اختلاف فيه، وعليه يحمل قول من قال: أول من

أسلم من الرجال البالغين الأحرار، ويؤيد هذا ما روي عن الحسن أن علي بن أبي طالب

قال: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أؤتهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم الهجرة،

له، وجاء أبوه وعمّه كعب مَكَّة وطلبوا أن يفدياه، فخيرّه عليه السلام بين أن يدفعه إليهما أو يثبت عنده، فاختر أن يبقى عنده، فلاماه فما رجع، وقال: لا أختار عليه أحد، فقام ﷺ إلى الحجر، وقال: «اشهدوا أن زيداً ابني، يرثني وأرثه»، فطابت نفسيهما وانصرفا، فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام فصّده وأسلم في قصة مطولة، ذكرها ابن الكلبي وابن إسحق هذا حاصلها.

(ومن العبيد بلال) المؤذن (والله أعلم) بحقيقة الألفية المطلقة، (انتهى). وقال) نحوه

الحافظ المحبّ (الطبري) بفتح الطاء والموحدة وراء نسبة إلى طبرستان على غير قياس،

(الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها، فيقال: أول من أسلم مطلقاً خديجة) لكنه

خالف فيها ابن الصلاح لقوة الأدلة، كيف وقد قال ابن الأثير: لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين.

(وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم، وكان مستخفياً

بإسلامه) من أبيه (وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة) عبد الله بن

عثمن، (وأول من أسلم من الموالي زيد) بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبي، (قال: وهو

متفق عليه لا اختلاف فيه) إطناب للتأكيد، (وعليه يحمل قول من قال: أول من أسلم من

الرجال البالغين الأحرار) لا مطلقاً (ويؤيد هذا ما روي عن الحسن: أن علي بن أبي طالب،

قال: لما جاءه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي

بكر، وأنت أسبق سابقة، وأورى منه منقبة، فقال علي: ويلك (إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم

أؤتهن) ولم اعتضّ منه بشيء؛ كما في الرواية (سبقني إلى إفشاء الإسلام) هذا محل التأييد،

وقد يمنع بأن سبق على إفشائه لا يلزم منه سبق على الإسلام نفسه، (وقدم الهجرة) لأنه هاجر

ومصاحبه في الغار، وإقام الصلاة، وأنا يومئذ بالشعب يظهر إسلامه وأخفيه. الحديث، خرجه صاحب فضائل أبي بكر وخيثة بمعناه.

وأما ما روي: من صحبة الصديق للنبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، وحديث بحيرى، وأنه وقع في قلب أبي بكر اليقين، وقول ميمون بن مهران: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرى، فالمراد بهذا الإيمان اليقين بصدقه، وهو ما قر في قلبه،

مع المصطفى وتأخر علي بعده، حتى أدى عنه الودائع التي كانت عنده ﷺ ثم لحقه بقاء (ومصاحبه في الغار، وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب) بالكسر شعب بني هاشم بمكة، (يظهر إسلامه وأخفيه... الحديث)، تتمته: يستحقرني قريش وتستوفيه، والله لو أن أبا بكر زال عن مزيتة ما بلغ الدين العبرين - يعني الجانبين - ولكان الناس ككرة ككرة طاولت، ويليك إن الله ذم الناس ومدح أبا بكر، فقال: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله﴾ [التوبة: ٤٠]، الآية كلها. (خرجه صاحب فضائل أبي بكر وخيثة) ابن سليمان بن حيدرة الإمام الحافظ أبو الحسن القرشي الطرابلسي أحد الثقات الرحالة جمع فضائل الصحابة، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، قال ابن منده: كتبت عنه بطرابلس، ألف جزء (بمعناه) ورواه الدارقطني في الغرائب وضعفه.

قال في الرياض النضرة، بعد سوق الحديث تاماً: وأورى من وري الزند خرجت ناره وظهرت، أي: أظهر منقبة وأنور. وتستوفيه، أي: توفيه حقه من الإعظام والإكرام. والمزية: الفضيلة، أي: لو زال عن فضيلته بالتقديم على الناس إماماً. وكرة جمع كارع كركبة وراكب من كرع بالفتح يكرع إذا شرب الماء من فيه دون إناء، ولعله أراد: لولا أبو بكر لخالف الناس الدين كما خالفه كركة طالوت بالشرب من النهر الذي نهوا عنه، انتهى.

(وأما ما روي) عند ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس (من صحبة الصديق للنبي ﷺ) وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهم يريدون الشام في تجارة وحديث بحيرا) أي: سؤاله لأبي بكر: من الذي تحت الشجرة؟ وقوله: هو محمد بن عبد الله، فقال: هذا نبي (وأنه وقع في قلب أبي بكر اليقين) من ذلك (وقول ميمون بن مهران) بكسر فسكون الكوفي أبي أيوب الجزري نزيل الرقة الثقة الفقيه التابعي الوسط كثير الحديث والي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وسبعون سنة.

(والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا، فالمراد بهذا الإيمان) اللغوي، وهو (اليقين) بصدقه، وهو ما قر في قلبه فلا ينافي أنه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة،

وإلا فالنبي ﷺ تزوج خديجة وسافر إلى الشام قبل المبعث.
ثم أسلم بعد زيد بن حارثة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد
الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله،

(وإلا فالنبي ﷺ تزوج خديجة وسافر مع غلامها ميسرة (إلى الشام قبل المبعث) بعد تلك
السفرة التي كان فيها أبو بكر وكان ذلك سبب التزويج بها وسنّه ﷺ خمس وعشرون سنة؛ كما
مر. فالواو عطفت سابقاً على لاحق على أنه لا يصح إيراد قصة صحبته له في تلك السفرة؛ لأن
في بقية خبرها؛ كما مر. ووقع في قلب أبي بكر التصديق، فلما بعث النبي أتبعه.

(ثم أسلم بعد زيد بن حارثة وعثمان بن عفان) أمير المؤمنين ذو النورين؛ لأنه كما قال
المهلب: لم يعلم أحد تزوج ابنتي نبي غيره، أو لأنه كان يختم القرآن في الوتر؛ فالقرآن نور
وقيام الليل نور، أو لأنه إذا دخل الجنة برقت له برقتين، أخرج أبو سعد في الشرف عنه: كنت
بفناء الكعبة، فقيل: أنكح محمد عتبة ابنته رقية، فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت إليها،
فانصرفت إلى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كرز، أي: الصحابة العيشية فأخبرتني أن الله
أرسل محمداً وذكر حثها له على أتباعه مطولاً، قال: وكان لي مجلس من الصديق، فأصبت فيه
وحده فسألني عن تفكري، فأخبرته بما سمعت من خالتي فذكر حثه له على الإسلام، قال: فما
كان بأسرع من أن مر ﷺ ومعه عليّ يحمل له ثوباً، فقام أبو بكر فساره فقعده ﷺ، ثم أقبل
عليّ، فقال: «أجب الله إلى جنته، فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه»، فوالله ما تمالك
حين سمعته أن أسلمت، ثم لم ألبث أن تزوجت رقية.

(والزبير بن العوام) بن خويلد القرشي الأسدي الحواري وهو ابن اثنتي عشرة سنة عند
الأكثر، وقيل: خمس عشرة، وقول عروة وهو ابن ثمان سنين أنكره ابن عبد البر، وكان عمه يعلقه
في حصير ويدخن عليه بالنار، ويقول: ارجع، فيقول: لا أكفر أبداً. (وعبد الرحمن بن عوف)
القرشي الزهري أحد العشرة الثمانية والستة، (وسعد بن أبي وقاص) ملك الزهري أحد العشرة
وأخبرهم موتاً، وأحد الستة والثمانية أسلم بعد ستة هو سابعهم، وهو ابن تسع عشرة سنة؛ كما
قاله ابن عبد البر وغيره.

وأما قوله: لقد رأيته وأنا ثالث الإسلام، أخرجه البخاري فحمل على ما أطلع هو عليه.
(وطلحة بن عبيد الله) التيمي أحد العشرة والثمانية السابقين إلى الإسلام والستة أصحاب
الشورى، ويقال: إن سبب إسلامه ما أخرجه ابن سعد عنه، قال: حضرت سوق بصرى فإذا راهب
في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيعم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم أنا، فقال:
هل ظهر أحمد؟ قلت: من أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه

بدعاء أبي بكر الصديق، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصلوا.

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس. والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، وعثمن بن مظعون الجمحي،

وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخيل وحرة وسباخ، فإياك أن تُسبق إليه، فوقع في قلبي فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد الأمين تنبأ وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى أتيت أبا بكر فخرج بي إليه، فأسلمت فأخبرته بخبر الراهب، (بدعاء أبي بكر الصديق) لأنه كان محبباً في قومه فجعل يدعو من وثق به فأسلموا بدعائه، (فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له) أي: أجابوا دعاءه لئلاهم (فأسلموا وصلوا) أي أظهروا إسلامهم عند المصطفى على ما أفادته الفاء في قوله فجاء بهم من أنه كان عقب إسلامهم والأظهر أن المراد انقضاء الدعاءة فأسلموا حين جاء بهم لقصة عثمن وطلحة، (ثم أسلم) أمين هذه الأمة، (أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح) القرشي الفهري اشتهر بجده، (وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد) القرشي المخزومي البصري توفي في حياته ﷺ فخلفه على زوجته أم سلمة وأولاده منها، وهم أربعة حال كون إسلامهما جميعاً، (بعد تسعة أنفس) فيكون أبو سلمة الحادي عشر؛ كما قال ابن إسحق وهم خديجة وعليّ وزيد والصديق والخمسة المسلمون على يده، وأبو عبيدة وأبو سلمة.

(والأرقم بن أبي الأرقم) عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي (المخزومي) البصري وشهد أحذاً والمشاهد كلها، وأقطعه ﷺ داراً بالمدينة، قيل: أسلم بعد عشرة. وفي المستدرک: أسلم سابع سبعة وتوفي سنة خمس أو ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وثمانين سنة، وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص، فصلّى عليه، (وعثمن بن مظعون) بظاء معجمة وغقل من أهلها؛ كما في النورين حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، (الجمحي) بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهمللة نسبة إلى جده المذكور، قال ابن إسحق: أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة.

روى ابن شاهين والبيهقي عنه، قلت: يا رسول الله! إني رجل يشقّ عليّ العزبة في المغازي، فتأذن لي في الخصي؟ فقال: «لا، ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم»، وشهد بدرًا، وتوفي بعدها في السنة الثانية، وأول مهاجري مات بالمدينة، وأول من دفن بالبقيع منهم. روى الترمذي عن عائشة: قتل عثمن بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تدرقان، فلما توفي

وأخواه قدامة وعبد الله، وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامراته فاطمة ابنة الخطاب.

وقال ابن سعد: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة أختها. كذا قاله ابن إسحق وغيره. وهو وهم، لأنه لم تكن عائشة ولدت بعد فكيف أسلمت. وكان مولدها سنة أربع من النبوة، قاله مغلطاي وغيره.

ابنه إبراهيم، قال: «الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون».

(وأخواه قدامة) يكنى أبا عمر من السابقين الأولين، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وكانت تحبّه صفية بنت الخطاب أخت عمر، واستعمله على البحرين فشرب فأحضره عمر، فلما أراد حذّه، قال: لو شربت كما قالوا، أي: الذين شهدوا عليه ما كان لكم أن تحذوني، قال الله: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح﴾ [المائدة: ٩٣] الآية، فقال عمر: أخطأت التأويل، إنك إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم ثم حذّه، فلما حجًا وقفلا من الحج، قال عمر: عجلوا بقدامة، فوالله لقد أتاني آت في منامي، فقال لي: سالم قدامة، فإنه أخوك، فأبى قدامة أن يأتي عمر إن أبى فجزّوه، فأتى إليه فكلمه واستغفر له، رواه عبد الرزاق وغيره مطوّلًا مات سنة ست وثلاثين أو ست وخمسين، وهو ابن ثمان وستين سنة.

(وعبد الله) يكنى أبا محمّد هاجر إلى الحبشة وشهد بدرًا، (وعبيدة) بضم العين وفتح الموحدة، (ابن الحرث بن المطلب) أخى هاشم، (ابن عبد مناف) بن قصي المستشهد يوم بدر، (وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون القرشي العدويّ أحد العشرة، (وامراته فاطمة ابنة الخطاب) بن نفيل المذكور فهي ثانية النساء إسلامًا.

(وقال ابن سعد: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل) لبابة الكبرى بضم اللام وخفة الموحدين بنت الحرث الهلالية، (زوج العباس) وأمّ بنيه الستة النجباء وردّه في الفتح: بأنها وإن كانت قديمة الإسلام لكنها لا تذكر في السابقين فقد سبقتها سمية والدّة عمار وأمّ أيمن. (وأسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين (وعائشة أختها) وهي صغيرة (كذا قاله ابن إسحق وغيره) ممن تبعه، فلا يخالف قول العراقي:

كذا ابن إسحق بذلك انفردا

(وهو وهم)، غلط (لأنه لم تكن عائشة ولدت بعد) أي: في ذلك الزمن، وهو أول البعثة. (فكيف أسلمت، وكان مولدها سنة أربع) وبه جزم في العيون والإصابة، وقال ابن إسحق: سنة خمس (من النبوة، قاله مغلطاي وغيره) وقد قالت: لم أعقل أبويّ إلا وهما يدينان الدين؛ كما في

ودخل الناس في الإسلام إرسالاً من الرجال والنساء.
ثم أمر الله رسوله ﷺ بأن يصدع بما جاءه، أي يواجه المشركين به.
وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة.
وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود:

الصحيح ولم يذكر بناته ﷺ؛ لأنه لا شك في تمسكه قبل البعثة بهديه وسيرته، وقد روى ابن إسحاق عن عائشة: لما أكرم الله نبيه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته، وكان أبو العاصي زوج زينب عظيمًا في قريش فكلّمته قريش في فراقها على أن يتزوج من أحب من نسائهم، فأبى. وفي الشامية أسلمت رقية حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايع النساء، وأم كلثوم حين أسلمت أخواتها وبايعت معهن، اهـ. وفاطمة لا يسأل منها لولادتها بعد النبوة أو قبلها بخمس سنين.
والحاصل إنه لا يحتاج للنص على سبقهن للإسلام؛ لأنه معلوم هذا، ولا يشكل تزويج زينب بأبي العاصي ورقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي ﷺ من قبل البعثة عن الجاهلية؛ لأن تحريم المسلمة على الكافر لم يكن ممنوعًا حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ بَعْدَ صَلَاحِ الْخُدُوبِ﴾ كما صرح به العلماء، وقد كفاه الله ولدي أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول، واستمرت زينب حتى أصر أبو العاصي ببدر فأرسلت في فدائه، فلما عاد بعثها إليه ﷺ فلم تزل حتى أسلم وهاجر، فردّها إليه ﷺ.

ووقع في حديث عائشة عند ابن إسحاق: أن الإسلام فرق بينهما لكنه ﷺ لم يقدر على نزعها منه حينئذ، (ودخل الناس في الإسلام) أي: تلبّسوا به فالظرفية مجازية حال كونهم (إرسالاً) جماعات متتابعين، (من الرجال والنساء) وقد عدّ العراقي وغيره من كل جملة صالحة، (ثم) بعد ذلك فشوة ذكره بمكة، وتحدث الناس به؛ كما عند ابن إسحاق، (أمر الله رسول ﷺ بأن يصدع بما جاءه) منه (أي: يواجه) يخاطب (المشركين) على وجه العموم فلا يخصّ بعضًا دون بعض؛ لأنه ﷺ بلغ ما أمر به لمن ظنّ إجابته دون مبالغة في التعميم فأمن به من مرّ مع كثيرين، ثم أمر بالمبالغة في إظهار الدعوة، بقوله تعالى: ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحجر: ٩٤]، (وقال مجاهد: هو) أي: الصدع المفهوم من ﴿فَاصْذَعْ﴾ [النحجر: ٩٤]، (الجهر بالقرآن في الصلاة) ومن لازمه المواجهة بما جاءه، وخصّ الصلاة؛ لأنها كانت أعظم ما يخفيه لكنه على عريق الدلالة والأول شفاهاً؛ كما صرح به قول ابن إسحاق: ينادي الناس بأمره ويدعوهم إليه، (وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود) الكوفي الثقة مشهور بكنيته، قال الحافظ: والأشهر أنه الاسم له غيرها، ويقال: اسمه عامر، والراجح أنه لا يصحّ سماعه من أبيه،

ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] فجهر هو وأصحابه.

وقال البيضاوي: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ الآية، من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهازاً أو أفرق به بين الحق والباطل. وأصله: الإبانة والتمييز. و«ما» مصدرية أو موصولة، «والعائد» محذوف، أي بما تؤمر به من الشرائع انتهى.

قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة، وهي المدة التي أخفى فيها رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره.

فبادىء قومه بالإسلام وصدع به

مات بعد سنة ثمانين.

(ما زال النبي ﷺ مستخفياً) هو والمسلمون في دار الأرقم، (حتى نزلت ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤]، فجهر هو وأصحابه) ثم بعد بيان المراد من الآية ذكر مأخذها بقوله: (وقال البيضاوي) في تفسير قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ الآية، فاجهر به (من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهازاً)، وعطف على فاجهر الذي حذفه المصنف من كلامه، قوله: (أو) يعني: وقيل معناه (افرق به بين الحق والباطل) لأن الصدع الفرق بين الشيعين، فالصدع بالحجة يفرق كلمة من ظهرت عليه وقهر بها وكأنه صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل، ولنور القرآن بنور الفجر؛ لأن الفجر يسمى صديقاً، قال الشاعر:

ترى السرحان مفترشاً يديه كأن بياض غرته صديق

(و) هو مجاز من صدع الشيء شقه إذ (أصله) لغة (الإبانة والتمييز) وفي القاموس: صدعه. كمنعه شقه أو شقه نصفين أو شقه، ولم يفترق ولا منافاة لجواز أن يراد بالإبانة الشق مع الفصل وهو استفاد من شقه، أي: مطلقاً وبالتمييز الشق بلا فاصل، وهو استفاد من الأول والثالث. (وما مصدرية) أي: بأمرنا لك، (أو موصولة والعائد) على أنها موصولة (محذوف، أي: بما تؤمر به من الشرائع، انتهى). ولا يشكل بأن شرط حذف عائد الموصول أن يجزئ بمثل ما جزئ به الموصول لفظاً ومتعلقاً، نحو: ويشرب مما تشربون، أي: منه؛ لأن الصدع بمعنى الأمر المؤثر ولا تشترط المناسبة اللفظية.

(قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة) تبرأ منه لجزم الحافظ في سيرته بأن نزول الآية كان في السنة الثالثة، (وهي المدة التي أخفى رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره، فبادىء) قال البرهان: الظاهر أنه بموحدة، أي: جاهر، (قومه بالإسلام و) لم يقتصر على مجرد المجاهرة بالدعوة بل كثر ذلك وأكده وبالع في إظهار الحجة حتى كأنه (صدع به)

كما أمره الله تعالى.

ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك سنة أربع، كما قاله العتقي. فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام. وحذب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه.

فاشتد الأمر، وتضارب القوم، وأظهر بعضهم لبعض العداوة، وتذامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب وبيني هاشم - ما عدا أبا لهب -

قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها (كما أمره الله تعالى) ومع ذلك (لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه) بل كانوا؛ كما قال الزهري: غير منكرين لما يقول وكان إذا مرّ عليهم في مجالسهم يقولون: هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك، (حتى ذكر آلهتهم وعابها) لما دخل المسجد يوماً فوجدهم يسجدون للأصنام فنهاهم، وقال: «أبطلتم دين أبيكم إبراهيم»، فقالوا: إنما نسجد لها لتقربنا إلى الله، فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم، (وكان ذلك في سنة أربع) من النبوة؛ (كما قاله العتقي) بضم المهملة وفتح الفوقية وقاف، وقيل: سنة خمس، وجمع بأن ابتداء الإظهار والمعاداة في الرابعة، وكمال واشتداده في الخامسة.

(فأجمعوا على خلافه) أي: عزموا على مخالفته وصمموا عليه (و) على (عداوته) إلا من عصم الله منهم بالإسلام) وهم قليل مستخفون؛ كما في العيون، ولا ينافيه قول الزهري: استجاب له من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به (وحذب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين فموحدة، أي: عطف (عليه عمه أبو طالب ومنعه) وأصل الحذب انحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له؛ كما في الشامية. (وقام دونه) كناية عن منعهم من الوصول له، يقال: هذا دون ذلك، أي: أقرب منه، أي: قام في مكان قريب منه حاجزاً بينه وبينهم، (فاشتد الأمر وتضارب القوم) ضرب بعضهم بعضاً بالفعل؛ كما جاء أن سعد بن أبي وقاص كان في نفر من قريش يصلّون في بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين فعاثوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلاً منهم بلحى بعير فشجّه، فهو أول دم أهرق في الإسلام، أو المعنى: أرادوا التضارب وعزموا عليه إشارة إلى ما كان بين أبي طالب وقومه.

(وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت قريش) بذال معجمة: حصّ بعضهم بعضاً؛ كما في النور وغيره. وفي نسخة: توامرت بالواو، أي: تشاورت والأولى أنسب، بقوله: (على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب، وبيني هاشم

وبيني المطلب.

وقال مقاتل: كان ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقر بذاك منك عيوناً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً لا محالة إنه من خير أديان البرية ديناً

ما عدا أبا لهب وبني المطلب،) أخي هاشم بن عبد مناف يطلب أبي طالب لذلك منهم لما رأى ما صنعوا بالمسلمين، فاجتمعوا إليه وأقاموا معه. وفي بعض نسخ العيون: وبني عبد المطلب، قال النور: والصواب الأول.

(وقال مقاتل: كان ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً) هو أنهم أتوه بعمارة ابن الوليد ليأخذوه ولذا ويعصيه النبي ﷺ ليقتلوه، (فقال أبو طالب:) والله لبئس ما تسوموني، أعطوني ابنكم أغدوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً، وقال: (حين تروح الإبل) ترجع من مراعيها (فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم) تعليق على محال على طريق إلزامهم إنها لا تحن إلى غيره مع كونها عجماء، فكيف أنا مع كوني من ذوي اللب والمعرفة؟ (وقال) شعروا في النبي تطميناً له:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيناً

(فاصدع بأمرك) جهراً بالشيء الذي أمرت بتبليغه، أو الأمر مصدر بمعنى الطلب، أي: أصدع بسبب أمر الله لك، (ما عليك غضاضة) بفتح الغين وضادين معجمات: ذلة ومنقصة، (وأبشر) بحذف الهمزة للضرورة، وأصله بقطع الهمزة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَبشروا بالجنة﴾ [فصلت: ٣٠]، (وقر بذاك منك عيوناً) بفتح القاف من قوت عينه سكنت أو بردت، لكنه حوّل الإسناد من العين إلى ذاته الكريمة وجيء بعيوناً تمييزاً للنسبة، ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ: وقري عينا، (ودعوتني) طلبت مني الدخول في دينك (وزعمت) ذكرت لي (أنت ناصحي) فلم يستعمل الزعم في معناه المشهور أنه القول الذي لا دليل عليه، بدليل قوله: (ولقد صدقت وكنت ثم) فيما دعوتني إليه (أميناً) لم تزد فيما أمرت بتبليغه ولم تنقص، (وعرضت) أظهرت لنا (ديناً لا محالة) بفتح الميم: لا حيلة في دفع (إنه من خير أديان البرية ديناً) إذ هو حق ثابت

لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً
وقد كفى الله تعالى نبيه المستهزئين. كما قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تلتفت إلى ما يقولون: ﴿إِنَّا كَفِينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر/ ٩٥]
يعني بقمعهم وإهلاكهم. وقد قيل للتحقيق لأن قول الجمهور: إنهم كانوا
خمسة من أشرف قريش.
الوليد بن المغيرة.
والعاصي بن وائل.
والحرث بن قيس.

بالحجج القاطعة، (لولا الملامة) العذل (أو حذاري) بكسر الحاء مصدر حاذر، أي: خوفاً،
(سبة) بضمة السين عازاً وفتح الحاء تعسف؛ لأنه يكون اسم فعل أمر ولا يصح هنا إلا بتقدير أو
خوفاً من أن يقال لي حذار، أي: احذر العار مع جعل الياء للإشباع، (لوجدتني سمحاً بذاك)
الذي دعوتني إليه، (مبيناً) ولما تكلم على المراد من آية الصدع جزه ذلك إلى ذكر الآية الثانية،
وإن كان اليعمرى إنما ذكره بعد ذلك قبل انشقاق القمر، فقال على ما في بعض النسخ.

(وقد كفى الله تعالى نبيه المستهزئين؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
[الحجر: ٩٤]، أي: لا تلتفت إلى ما يقولون) وهذا كان قبل الأمر بالجهاد، ﴿إِنَّا كَفِينَاكَ
الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك ومن استهزاء الحرث قوله عن محمّد نفسه وصحبه إذ وعدهم أن يحيوا بعد
الموت: واللّه ما يهلكنا إلا الدهر ومرور الأيام والحوادث، رواه ابن جرير عن قتادة. (يعني
بقمعهم) مصدر قمع كمنع، أي: بقهرهم وإذلالهم (وإهلاكهم) حكم على المجموع، فلا ينافي
أن من أسلم لم يهلك (وقد قيل للتحقيق؛ لأن قول الجمهور) ومنهم ابن عباس في أكثر
الروايات عنه (إنهم كانوا خمسة من أشرف قريش الوليد بن المغيرة) بن عبد الله بن عمر بن
مخزوم، قال البيهقي: وكان رأسهم، (والعاصي بن وائل) السهمي (والحرث بن قيس) ابن عدي
السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشرف قريش في الجاهلية وإليه كانت الحكومة والأموال
التي كانوا يستأمنونها، قال ابن عبد البر: أسلم وهاجر إلى الحبشة مع بنيه الحرث وبشر ومعمّر،
وتعقبه ابن الأثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكر أنه كان من المستهزئين.

وزاد الذهبي في التجريد: لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبو عمر وردّه في الإصابة بأنه ذكره
في الصحابة أيضاً أبو عبيد ومصعب والطبري وغيرهم، ولا مانع أن يكون تاب وصحب وهاجر،
والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم، انتهى. وأما كنانة واسمها العيطة، وينسب إليها.

والأسود بن عبد يغوث.

والأسود بن المطلب.

وكانوا يبالغون في إيذائه ﷺ والاستهزاء به. فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أمرت أن أكفيكمهم. فأومأ إلى ساق الوليد، فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فمات، وأومأ إلى أخمص العاصي فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالوحي فمات، وأشار إلى أنف الحرث فامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات،

روى ابن جرير عن أبي بكر الهذلي، قال: قيل للزهري: إن سعيد بن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال سعيد: الحرث بن عبطلة، وقال عكرمة: الحرث بن قيس، فقال: صدقاً جميعاً، كانت أمه عبطلة وكان أبوه قيساً، وما ذكر من أنه الحرث هو ما وقفت عليه. وفي نسخ صحيحة، وفي بعضها: وعدي بن قيس، وهو وإن قيل: بأنه منهم لكن يعين الأول قوله الآتي: فأشار إلى أنف الحرث.

(والأسود بن عبد يغوث) ابن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله ﷺ من استهزائه، أنه كان يقول: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد؟ (والأسود بن المطلب) بن أسد بن عبد العزى (وكانوا يبالغون في إيذائه ﷺ والاستهزاء به) فكان جبريل عليه السلام مع النبي ﷺ فمروا بهما واحداً بعد واحد فشكاهم إلى جبريل، (فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أمرت أن أكفيكمهم، فأومأ إلى ساق الوليد، فمر بنبال) يرش نبله ويصلحها (فتعلق بثوبه سهم) وفي البغوي: فعرضت شظية من نبل (فلم ينعطف) ينثني (تعظيماً لأخذه فأصاب عرقاً في عقبه) زاد البغوي: فمرض، (فمات) كافراً (وأومأ) جبريل (إلى أخمص) بفتح أوله وإسكان الخاء المعجمة فميم فصاد مهملة، (العاصي) فخرج يئنزه فنزل شعباً، (فدخلت فيه شوكة) من رطب الضريع (فانتفخت) رجله حتى صارت كالوحي) وفي البغوي: كعنق البعير، (فمات) مقامه.

(وأشار إلى أنف الحرث فامتخط قيحاً، فمات) وقيل: أكل حوتاً مملوحاً فما زال يشرب عليه حتى انتقد بطنه، وقيل: أخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه، فمات. وعلى القول بإسلامه فمعنى: كفيناك بإسلامه وهو الذي يظهر من الإصابة ترجيح، فإنه أورده في القسم الأول ورد على من جزم بخلافه، (وأشار جبريل (إلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات) على

والى عيني الأسود بن عبد المطلب فعمي.
وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول: إن الله يأمركم أن تعبدوه
ولا تشركوا به شيئاً، وأبو لهب

كفره، وقيل: أشار جبريل إلى بطنه بإصبعه فاستسقى بطنه فمات، رواه الطبراني بسند ضعيف.
وقيل: خرج في رأسه قروح فمات، ويمكن أنها سبب نطحه الشجرة.
وروى الطبراني والبيهقي والضياء بإسناد صحيح: أن جبريل أوماً إلى رأسه فضربته الأكلة
فامتخض رأسه قيحاً بخاء وضاد معجمتين، أي: تحرك شديداً. وعند ابن أبي حاتم والبلاذري
بسند صحيح عن عكرمة: أنه حنى ظهره حتى احقوقف صدره، فقال ﷺ: خالي خالي، فقال
جبريل: دعه عنك، فقد كفيته. احقوقف: انحنى، وقيل: خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى
صار حبشيّاً، فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى
مات عطشاً، ويقال: إنه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه وجمع باحتمال أن جميع ذلك
وقع له.

(و) أشار جبريل (إلى عيني الأسود بن المطلب) قال ابن عباس: رماه بورقة خضراء،
(فعمي) بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح، ووجعت عينه فضرب برأسه
الجدار حتى هلك، وهو يقول: قتلني ربّ محمد، وقال ابن عباس في رواية: كانوا ثمانية،
وصحّحه في الغرر وجزم به ابن عبد البرّ والعراقي فزادوا أبا لهب هلك بالعدسة، وهي ميتة شنيعة
بعد بدر بأيام كما يأتي، وعقبة ابن أبي معيط قتل صبراً بعد انصرافه ﷺ من بدر، والحكم بن
العاصي بن أمية أسلم يوم الفتح، وتوفي في آخر خلافة عثمان. قال العراقي:

ثامنهم أسلم وهو الحكم فقد كفاه شرّه إذ يسلم

وأسقط الشامي ابن أبي معيط وأبدله بملك ابن الطلائة وهو خلاف ما في العيون ونظم
السيرة على أن اليعمري سّماه قبل ذكر المستهزئين بقليل في المجاهرين بالظلم الحرث بن
الطلايلة الجزاعي بطاءين مهملتين، الأولى مضمومة، والثانية مكسورة بينهما لام خفيفة، ثم لام
مفتوحة، ثم تاء تأنيث، وهي لغة الداء العضال الذي لا دواء له. وعند ابن إسحق: إن الحرث هذا
مرّ به ﷺ فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً فقتله كافراً.

(وكان ﷺ) كما رواه عبد الله في زوائد المسند والحاكم، وقال علي شرطهما عن ربيعة
ابن عباد بكسر العين مخففاً الديلي الكناني الصحابي، قال: رأيت رسول الله ﷺ (يطوف على
الناس) في أول أمره (في منازلهم يقول: إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأبو
لهب) عمه على المحفوظ ويروى أبو جهل قال ابن كثير: وقد يكون وهماً ويحتمل أنهما تناوبا

وراءه يقول: يا أيها الناس: إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم.
ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر، وتبعه قومه عن ذلك.

على إيدائه ﷺ، قال الشامي: وهو الظاهر.

(وراءه) يتبعه إذا مشى (يقول: يا أيها الناس! إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم) وذلك عار عليكم، فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل؛ لأن العرب كانت تقول: قوم الرجل أعلم به، ولذا قال ﷺ: «ما أؤذي أحد ما أؤذيت»، (ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر) مع اعترافه بأنه باطل، لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب، قال إنه أقرب القول فيه تنفيراً للناس عنه.

(وتبعه قومه عن ذلك) بعد التشاور فيما يرمونه به، فعند ابن إسحق والحاكم والبيهقي بإسناد جيد أنه اجتمع إلى الوليد نفر من قريش وكان ذا سنّ فيهم، فقال لهم: يا معشر قريش، قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم، فاجمعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت فأقم لنا رأياً نقوله فيه قال: بل أنتم فقولوا: أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهّان فما هو يزمزما الكاهن ولا بسجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: والله ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا بخابخه ولا وسوسته، قالوا: شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسطة، قالوا: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفته ولا عقده، قالوا: فما تقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناه وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً لا أعرف إنه باطل وأن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرّقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حدّروه إياه، وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره في بلاد العرب كلّها.

وفي سيرة الحافظ: فانتشر بذلك ذكره في الآفاق، وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من أمر الهجرة ما كان وقدم عليه عشرون من نجران، فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبّهم وأقذع في القول، فقالوا له: سلام عليكم وفيهم نزل: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص/٥٥] الآيات، انتهى.

قال السهيلي: رواية ابن إسحق لعذق بفتح المهملة وسكون المعجمة استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وهي العذق أفصح من رواية ابن هشام لغذق بفتح المعجمة وكسر المهملة من

وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون.
ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه، ويجعل الدم على بابه.
ووطىء عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى
كادت عيناه تبرزان. وخنقوه خنقاً شديداً، فقام أبو بكر دونه، فجذبوا رأسه
ولحيته ﷺ

الغذق وهو الماء الكثير، ومنه يقال: غيذق الرجل إذا كثر بصاقه؛ لأنها استعارة تامة يشبه آخر
الكلام أوله، وإن فزعه لجناه استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جني،
انتهى. وفي حواشي أبي ذر: لجناه، أي: فيه ثمر يجنى، انتهى.

فانظر هذا اللعين، كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله
ذمّاً بليغاً، في قوله: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [القلم: ١٠]، حتى قوله: على الخرطوم،
وقوله: ﴿ذرني ومن خلقت﴾ [المدثر: ١١]، حتى قوله: ﴿سأصليه سقراً﴾ [المدثر: ٢٦].

(وآذته قريش) أشد الأذية (ورمته بالشعر والكهانة والجنون) وبرأه الله من جميع ذلك في
الكتاب العزيز، (ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه) روى أن فرعون هذه الأمة أبا جهل
رآه ﷺ عند الحجون فصب التراب على رأسه، ووطىء برجله على عاتقه، (ويجعل الدم على
بابه) كما قال ﷺ: «كنت بين شرّ جارين، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط، إن كانا ليأتيان
بالفروث فيطرحانها على بابي، حتى إنهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الأذى فيطرحونه على
بابي»، رواه ابن سعد عن عائشة.

(ووطىء عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة، وهو ساجد عند الكعبة، حتى كادت
عيناه تبرزان) وروى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد وأبو يعلى وابن حبان، عن عمرو بن
العاصي: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوم أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس وهو
يصلّي عند المقام، فقام إليه عقبة فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه وتصايح
الناس، وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن
يقول ربي الله، ثم انصرفوا عنه فلما قضى صلاته مرّ بهم، فقال: «والذي نفسي بيده، ما أرسلت
إليكم إلا بالذبح»، فقال له أبو جهل: يا محمد، ما كنت جهولاً، فقال: «أنت منهم».

(وخنقوه خنقاً) بفتح الخاء وكسر النون وتسكن للتخفيف؛ كما في المصباح (شديداً)
قويّاً ونسبه إليهم مع أن الفعل من عقبة فقط، كما في البخاري الآتية على الأثر لإقرارهم عليه
ومعاونتهم له إن لم نقل بتعدد القصة. (فقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته ﷺ) وسقطت

حتى سقط أكثر شعره، فقام أبو بكر دونه وهو يقول: اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

وقال ابن عمرو - كما في البخاري -: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ. وفي رواية ثم قال: ﴿اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾ [غافر/٢٨].

وقد ذكر العلماء،

الصلاة في نسخة (حتى سقط أكثر شعره، فقام أبو بكر دونه، وهو) يبكي (ويقول: اتقتلون رجلاً) لأجل (أن يقول ربي الله!) فقال ﷺ: «دعهم يا أبا بكر، فالذي نفسي بيده، إني بعثت إليهم بالذبح»، ففرجوا عنه عليه السلام.

(وقال) عبد الله (بن عمرو) بفتح العين ابن العاصي الصحابي ابن الصحابي (كما في البخاري) في مناقب أبي بكر، وفي باب ما لقي النبي ﷺ من المشركين بمكة عن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاصي، قلت: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، قال: (بيننا) بلا ميم، وفي رواية بالميم (رسول الله ﷺ بفناء الكعبة) لفظ البخاري في الباب المذكور: يصلي في حجر الكعبة، (إذ أقبل عقبة بن أبي معيط. فأخذ بمنكب النبي ﷺ فلف ثوبه) أي: ثوب النبي ﷺ (في عنقه) الشريف (فخنقه) بفتح النون (خنقاً) بكسرها وتسكن (شديداً) فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه) أي: بمنكب عقبة بفتح الميم وكسر الكاف (ودفعه عن رسول الله ﷺ) زاد ابن إسحق: وهو يبكي، ثم جزم عبد الله بأن هذا أشد ما صنعه المشركون بالمصطفى يخالف ما في البخاري عن عائشة، قلت: هل أتى عليك يوم أشد من أجد؟ قال: لقد لقيت من قومك، فذكر قصته بالطائف مع ثقيف لما ذهب إليهم بعد موت أبي طالب ويأتي الحديث في محله. قال الحافظ: والجمع بينهما أن عبد الله استند إلى ما رآه ولم يكن حاضراً للقبضة التي وقعت بالطائف.

(وفي رواية) للبخاري أيضاً (ثم قال:): الصديق ﴿اتقتلون رجلاً﴾ [غافر: ٢٨] كراهية لـ ﴿هأن يقول ربي الله﴾ بقية الرواية في الباب الآتي، وفي المناقب: ﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾ [غافر: ٢٨] استفهام إنكاري، وفي الكلاكم ما يدل على حسن هذا الإنكار؛ لأنه ما زاد على أن قال: ربي الله وجاء بالبينات، وذلك لا يوجب القتل البتة.

(وقد ذكر العلماء) وفي شرحه للبخاري بعضهم فكان أصله لبعضهم وسكت الباقيون

أن أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون، لأن ذلك اقتصر حيث انتصر على اللسان، وأما أبو بكر رضي الله عنه فأتبع اللسان يداً، ونصر بالقول والفعل محمداً ﷺ. وفي رواية البخاري أيضاً: «كان عليه الصلاة والسلام يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي،

عليه، فنسب للعلماء (أن أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون) رجل من أقاربه، وقيل: غريب بينهم يظهر دينهم خوفاً منهم وهو مؤمن باطناً، قال الحافظ: اختلف في اسمه، فقيل: هو يوشع بن نون وهو بعيد؛ لأنه من ذرية يوسف لا من آل فرعون، وقد قيل: إن قوله من آل فرعون متعلق ببيعتهم إيمانه والصحيح أنه من آل فرعون، قال الطبري: لأنه لو كان من بني إسرائيل لم يصغ إليه فرعون ولم يسمعه، وقيل: اسمه شمعان بالشين المعجمة، وصححه السهيلي، وقيل: حيزر، وقيل: خرييل، وقيل: جالوت، وقيل: حبيب ابن عم فرعون، وقيل: حبيب النجار وهو غلط، وقيل: خونكة بن سود بن أسلم بن قضاة، اهـ باختصار. (لأن ذلك اقتصر حين انتصر) لموسى حين أراد فرعون قتله، (على اللسان) فقال: ﴿اتقتلون رجلاً﴾ [غافر: ٢٨] الآية.

(وأما أبو بكر رضي الله عنه، فأتبع اللسان يداً ونصر بالقول والفعل محمداً ﷺ) والمراد أن هذا من جملة ما فضل به أبو بكر، لا أن فضله إنما جاء من هذه الحثيثة ضرورة أن الحكم يدور مع العلة كذا أفاده بعض شيوخنا، وأصل هذا المنسوب للعلماء جاء عن عليّ كرم الله وجهه بمعناه، فقد روى البزار وأبو نعيم من رواية محمد بن عليّ عن أبيه: أنه خطب، فقال: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت، قال: أمّا إني ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكّنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجوّه وهذا يتلبه، ويقولون: أنت جعلت الآلهة إلهاً واحداً، فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا، ويدفع هذا، ويقول: ويلكم اتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله، ثم بكى عليّ ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن من آل فرعون أفضل أم أبو بكر، فسكت القوم، فقال علي: والله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتنم لإيمانه وهذا أعلن لإيمانه.

(وفي رواية البخاري أيضاً) في الطهارة والصلاة والجزية والجهاد والمغازي، والمذكور هنا لفظه في الصلاة عن عبد الله يعني ابن مسعود، (كان عليه الصلاة والسلام) نقل بالمعنى، فلنظفه: بينما رسول الله ﷺ قائم (يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم) هو أبو جهل؛ كما في مسلم.

وفي رواية: قالوا: ولا منافاة لجواز أنه قاله ابتداء وتبعوه عليه، (ألا تنظرون إلى هذا المرائي)

أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاها، فلما سجد عليه السلام وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم،

يتعمد في المأ دون الخلوة (أيكم يقوم إلى جزور) بفتح الجيم وضم الزاي يقع على الذكر والأنثى، وفي الفائق الجزور بفتح الجيم قبل النحر فإذا نحر، قيل: جزور بالضم (آل فلان) زاد مسلم: وقد نحر جزور بالأمس، (فيعمد) بكسر الميم وتفتح مرفوع عطفاً على يقوم، وفي رواية بالنصب جواباً للاستفهام، (إلى فرثها) بفتح الفاء وسكون الراء ومثلثة: ما في كرشها، (ودمها وسلاها) بفتح المهملة والقصر: وعاء جنين البهيمة كالمشيمة للآدميات، وبه يعلم أن الجزور كانت أنثى، قال في المحكم: ويقال للآدميات أيضاً سلى، (فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاها) وفي رواية الطهارة: أشقى القوم به، وبه يفتر هذا الضمير وهو عقبة بن أبي معيط؛ كما في الصحيحين، أي: بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فأسرع السير، وإنما كان أشقاها مع أن فيهم أبا جهل وهو أشد كفراً وإذناء للمصطفى منه لاشتراكهم في الكفر والرضا، وانفراد عقبة بالمباشرة ولذا قتلوا في الحرب وقتل هو صبراً، وحكى ابن التين عن الداودي أنه أبو جهل، فإن صح احتمال أن عقبة لما انبعث حمل أبا جهل شدة كفره فانبعث على أثره، والذي جاء به عقبة.

وفي رواية: فانبعث أشقى قوم بالتنكير وفيه مبالغة ليست في المعرفة؛ لأن معناه أشقى كل قوم من أقوام الدنيا، قال الحافظ: لكن المقام يقتضي التعريف؛ لأن الشقاء هنا بالنسبة إلى أولئك القوم فقط. (فلما سجد عليه السلام وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً) لا يرفع رأسه، كما في رواية (وضحكوا حتى مال بعضهم على) وفي رواية: إلى (بعض من الضحك) استهزاء لعنهم الله (فانطلق منطلق) قال الحافظ: يحتمل أن يكون هو ابن مسعود، انتهى. أي: وأبهم نفسه لغرض صحيح ولا ينافيه رواية فهنا أن تلقى عنه لما لا يخفى.

(إلى فاطمة) بنته سيدة نساء هذه الأمة ذات المناقب الجمة، (وهي) يرمئ (جويرية صغيرة) السن؛ لأنها ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد أبيها ﷺ على الصحيح، (فأقبلت تسعى وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته) أي: الذي وضعوه، (عنه وأقبلت عليهم تسبهم) وفي رواية للشيخين: ودعت على من صنع ذلك زاد البزار فلم يردوا عليها شيئاً، قال: في الفتح وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها لشرفها في قومها ونفسها لكونها صرحت بشتهم وهم رؤوس

فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش، ثم سمي فقال: اللهم عليك بعمر بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط،

قريش، فلم يردوا عليها (فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال: «اللهم عليك بقريش»؛ اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»، هكذا كثره البخاري في الصلاة لفظاً، وذكره في غيره بلفظ: «اللهم عليك بقريش»، ثلاث مرات. وفي رواية مسلم: وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، والمراد بإهلاك كفارهم على حذف المضاف أو الصفة بقريش الكفار أو من سنيهم بعد فهو عام أريد به الخصوص.

وفي البخاري: فشقّ عليهم إذ دعا عليهم، وفي مسلم: فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، وصريح الحديث إن الدعاء بعد الفراغ من الصلاة، وفي رواية: فسمعته يقول وهو قائم يصلي: «اللهم اشدّد وطأتك على مضر سنين كسني يوسف»، فيمكن إنه دعا به في الصلاة وبعدها، وهذا خير من تجويز أن معنى قضى صلاته قارب الفراغ منها، وقرله: وهو قائم ثابت في صلاته وإن لم يكن في خصوص القيام؛ لأن فيه مع تعسفه إخراج المتبادر من لفظ كل من الحديثين مع إمكان الجمع بدون ذلك.

(ثم سمي) أي: عيّن في دعائه وفصل من أجمل (فقال: اللهم عليك بعمر بن هشام) المخزومي الأحوال المأبون فرعون هذه الأمة كتته العرب بأبي الحكم وكناه الشارع بأبي جهل، ذكره غير واحد، وللبخاري أيضاً: «اللهم عليك بأبي جهل»، قال الحافظ: فلعله سناه وكناه. (وعتبة بن ربيعة وأخيه) (شيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة) بن ربيعة ثاني المذكورين، قال الحافظ: لم تختلف الروايات في أنه بعين مهمله بعدها مثناة ساكنة، ثم موحدة لكن عند مسلم من رواية زكريا بالقاف بدل المثناة وهو وهم قديم نثبه عليه ابن سفيان الراوي عن مسلم، اهـ.

قيل: وسبب الوهم أن الوليد بن عقبة بالقاف لم يكن حينئذ موجوداً، أو كان صغيراً جداً، قال في النور: ويوضح فساده أن الزبير وغيره من علماء السُّبُر والخبر ذكروا أن الوليد وعمارة ابني عقبة خرجا ليردّا أختها عن الهجرة بعد الحديبية ولا خلاف أن قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحجرات: ٦] نزلت فيه، فالظاهر إنه كان كبيراً؛ كما قال بعضهم، انتهى. يعني: فهو وهم بلا سبب.

(وأمّية بن خلف) وفي بعض روايات البخاري: أبي بن خلف، قال في الفتح: وهو وهم، والصواب: وهو ما أطبق عليه أصحاب المغازي أمّية؛ لأنه المقتول بيد. وأمّا أخوه أبي فأنما قتل بأحد، (وعقبة بن أبي معيط) أشقى القوم واسم والده أبان بن أبي عمرو واسمه ذكوان بن أمّية بن

وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيته صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القلب، قلب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: «أتبع أصحاب القلب لعنة».

عبد شمس، (وعمارة) بضم العين وخفة الميم (ابن الوليد) هكذا رواه البخاري في الصلاة جزماً من طريق إسرائيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله، ورواه في الوضوء من رواية إسحق وشعبة عن أبي إسحق عن عمرو بن ابن مسعود، بلفظ: وعد السابغ فلم يحفظه. ولمسلم من رواية الثوري، قال أبو إسحق: ونسيت السابغ، قال الحافظ: فقيه أن فاعل عد عمرو بن ميمون، ولم يحفظه أبو إسحق خلاف ترديد الكرمانى في فاعل عد بين النبي وابن مسعود، وفاعل فلم يحفظه بين ابن مسعود وعمرو بن ميمون على أن أبا إسحق تذكره مرة؛ كما عند البخاري في الصلاة وسماع إسرائيل منه في غاية الإتيان للزومه إياه؛ لأنه جده وكان خصيصاً به. قال ابن مهدي: ما فاتني الذي فاتني من حديث الثوري عن أبي إسحق إلا أنكالا على إسرائيل؛ لأنه يأتي به أتم. وقال إسرائيل: كنت أحفظ حديث أبي إسحق، كما أحفظ سورة الحمد، انتهى ملخصاً.

(قال عبد الله) بن مسعود (فوالله لقد رأيته) وفي رواية: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ (صرعى) موتى مطروحين على الأرض، (يوم بدر ثم سحبوا) أي: جروا، (إلى القلب) بفتح القاف وكسر اللام البئر قبل أن تطوى، أي: تبنى بالحجارة ونحوها أو العادة القديمة التي لا يعرف صاحبها، (قلب بدر) الرواية بالجر على البدل ويجوز الرفع بتقدير هو والنصب بأعنى، كما أفاده المصنف وغيره. قال العلماء: وإنما أمر بالقائهم فيه لئلا يتأذى الناس بريحتهم، وإلا فالحربي لا يجب دفنه، والظاهر أن البئر لم يكن فيها ماء معين، قاله الحافظ. قال المصنف وتحقيراً لشأنهم، (ثم قال رسول الله ﷺ: «أتبع أصحاب القلب لعنة») بضم الهمزة ورفع أصحاب أخبار منه ﷺ بعد إلقائهم في القلب بأن الله أتبعهم، أي: كما إنهم مقتولون في الدنيا فهم مطرودون في الآخرة عن رحمة الله، ورواه أبو ذر بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب عطفًا على عليك بقریش؛ كأنه قال: أهلكهم في حياتهم وأتبعهم اللعنة في مماتهم، وهذا الحديث أخرجه أيضًا مسلم والنسائي والبخاري وغيرهم.

قال الحافظ رحمه الله: وفيه جواز الدعاء على الظالم، لكن قال بعضهم: محله إذا كان كافراً، فأما المسلم فيستحب الاستغفار له والدعاء بالتوبة، ولو قيل: لا دلالة فيه على الدعاء على الكافر ما بعد؛ لاحتمال اطلاعه ﷺ على أن المذكورين لا يؤمنون، والأولى أن يدعى لكل أحد بالهداية، وفيه حلمه ﷺ عمن آذاه.

واستدل بهذا الحديث: على أن من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال، ولا أثر لها صحت صلاته اتفاقاً.

واستدل به أيضاً: على طهارة فرث ما يؤكل لحمه، وعلى أن إزالة النجاسة ليست بفرض، وهو ضعيف.

وأجاب النووي: بأنه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره، فاستمر في سجوده، استصحاباً لأصل الطهارة.

ففي رواية الطيالسي عن ابن مسعود: لم أره دعا عليهم إلا يومئذ وإنما استحقوا الدعاء حيثئذ لما قدموا عليه من الاستخفاف به حال عبادة ربّه، وفيه استحباب الدعاء ثلاثاً، وغير ذلك.

(واستدلّ بهذا الحديث على أن من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداءً) لأن من شروطها طهارة الخبث عند الأكثرين، (لا تبطل صلاته، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال) أو لم تستقرّ عليه (ولا أثر لها، صحت صلاته اتفاقاً) وقال الخطابي: لم يكن إذ ذاك حكم بنجاسة ما أُلقي عليه كالخمر، فإنهم كانوا يلاقون بثيابهم وأبدانهم الخمر قبل نزول التحريم، وردّه ابن بطل بأنه لا شك أنها كانت بعد نزول قوله تعالى: ﴿وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]؛ لأنها أوّل ما نزل قبل كل صلاة، اللهم إلا أن يقال المراد بها طهارة القلب ونزاهة النفس عن الدنيا والآثام.

(واستدلّ به أيضاً على طهارة فرث ما يؤكل لحمه) وتعقب: بأن الفرث لم يفرد بل كان مع الدم؛ كما في رواية إسرائيل والدم نجس اتفاقاً، وأجيب بأن الفرث والدم كانا داخل السلى، وجلدة السلى الظاهرة طاهرة فكان كحمل القارورة المرصصة وردّ بأنها ذبيحة عبدة أوثان، فجميع أجزائها نجسة؛ لأنها ميتة، وأجيب بأن ذلك كان قبل التبعّد بتحريم ذبائحهم وتعقب بأنه يحتاج إلى تاريخ ولا يكفي فيه الاحتمال.

(واستدلّ به أيضاً على أن إزالة النجاسة ليست بفرض) بل سنة، (وهو أي: الاستدلال ضعيف) لأنها قضية عين مع احتمال كون النجاسة داخل الجلدة، (وأجاب النووي) قائلاً: إنه الجواب المرضي، (بأنه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره، فاستمرّ في سجوده استصحاباً لأصل الطهارة) ولا يرّد عليه إنه كان عليه السلام يرى من خلفه كما ينظر أمامه؛ لجواز أن هذه الخصوصية إنما كانت بعد هذه الواقعة، ولكن تعقب بأنه يدلّ على علمه بما وضع عليه إن

وتعقب: بأنه مشكل على قولنا بوجوب الإعادة، في مثل هذه الصورة.
وأجيب عنه: بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة، فإن ثبت أنها فريضة
فالوقت متسع فلعله أعاد.

وتعقب: بأنه لو أعاد لنقل، ولم ينقل، وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة.
وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين، لأنه لم يقتل
ببدر، بل ذكر أصحاب المغازي: أنه مات بأرض الحبشة، وله قصة مع النجاشي،
إذ تعرض لامرأته فأمر النجاشي ساحراً فنفخ في إحليل عمارة من سحره فتوحش،
وصار مع البهائم

فاطمة ذهبت به قبل أن يرفع رأسه، وعقب هو في صلاته بالدعاء عليهم.

(وتعقب) أيضًا (بأنه مشكل على قولنا بوجوب الإعادة في مثل هذه الصورة) على
الصحيح، (وأجيب عنه بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة) فلعلّ صلاته كانت نافلة، (فإن ثبت
أنها فريضة فالوقت متسع، فلعله أعاد) صلاته (وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل وبأن الله
لا يقره على صلاة فاسدة) وقد خلع نعليه وهو في الصلاة لما أخبره جبريل إن فيهما قدرًا،
ويمكن الانفصال عنه هنا بأنه أقزّه لمصلحة إغاطة الكفار بإظهار ثباته وعدم التفاته إلى فعلهم؛
كما أقزّه على السلام من ركعتين لتشريع عدم بطلانها بالسلام سهواً.

(وقد استشكل بعضهم عدّ عمارة بن الوليد في المذكورين؛ لأنه لم يقتل ببدر بل ذكر
أصحاب المغازي أنه مات بأرض الحبشة وله قصة مع النجاشي، إذ تعرض لامرأته فأمر
النجاشي ساحراً فنفخ في إحليل مجرى بول (عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع
البهائم)، وذلك كما ذكره أبو الفرج الأمويّ الأصبهاني وغيره أن المسلمين لما هاجروا الهجرة
الثانية إلى الحبشة بعثت قريش عمراً وعمارة إلى النجاشي بهدية، فألقى الله بينهما العداوة في
مسيرهما؛ لأن عمرو كان دميماً ومعه امرأته وعمارة جميلاً، فهوى امرأة عمرو وهويته فعزما على
دفع عمرو في البحر فدفعاه فسيح ونادى أصحاب السفينة فأخذوه فرفعوه إليها فأضمرها في نفسه
ولم يبدها لعمارة، بل قال لامرأته: قبلي ابن عمك عمارة لتطيب نفسه، فلما أتيا الحبشة وردّهما
الله خائبين مكر عمرو بعمارة، فقال له: أنت جميل والنساء يحببن الجمال، فتعرض لامرأة
النجاشي فلعلها أن تشفع لنا عنده في قضاء حاجتنا ففعل وتكرّر تردده إليها وأخذ من عطرها
فأتى عمرو للنجاشي، فأخبره فأدركته عزة الملك، وقال: لولا أنه جاري لقتلته، ولكن سأفعل به
ما هو شرّ من القتل، فأمر الساحرات فنفحن في إحليله نفحة طار منها هائماً على وجهه حتى

إلى أن مات في خلافة عمر.

وأجيب: بأن كلام ابن مسعود - أنه رآهم صرعى في القليب - محمول على الأكثر، ويدل عليه: أن عقبة بن أبي معيط لم يصرع في القليب، وإنما قتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر بمرحلة. وأمّية بن خلف لم يطرح في القليب، كما هو بل مقطّعا كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقوله: ثم قال رسول الله ﷺ: «أتبع أصحاب القليب لعنة، يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي، فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة.....»

لحق بالوحوش في الجبال، وكان إذا رأى آدمياً ينفر منه.

(إلى أن مات في خلافة عمر) لما جاءه ابن عمّه عبد الله بن أبي ربيعة الصحابي بعد أن استأذن عمر بن الخطاب في السير إليه لعله يجده، فأذن له فسار إلى الحبشة فأكثر الفحص عنه حتى أخبر أنه في جبل يرد مع الوحوش ويصدر معها فسار إليه حتى كمن له في طريقه إلى الماء، فإذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتمزّقت عليه ثيابه حتى كأنه شيطان، فقبض عليه وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول: أرسلني أرسلني حتى مات بين يديه، ذكره أيضاً أبو الفرج في كتاب الأغاني، وكان عمرو قال يخاطب عمارة:

إذ المرء لم يترك طعاماً يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يما

قضى وطراً منها وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

(وأجيب بأن كلام ابن مسعود أنه رآهم صرعى في القليب محمول على الأكثر، ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يصرع في القليب؛ لأنه لم يقتل بيد بل أسير، وإنما قتل) أي: قتل عاصم بن ثابت، أو عليّ بأمر النبي ﷺ (صبراً) أي: بعد حبسه.

ففي المصباح كل ذي روح يوثق حتى يقتل، فقد قتل صبراً، (بعد أن) أسروا (رحلوا عن بدر مرحلة) محل يقال له: عرق الظبية، (وأمّية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطّعا) فإنه كان رجلاً بادئاً قبل أن يبلغ به إليه؛ (كما سيأتي إن شاء الله تعالى) في غزوة بدر، وفي ذكره تبعاً للفتح أمّية شيء؛ لأن كلام ابن مسعود يصدق على أنه رآه ولو مقطّعا إذ لم يقل رأيتهم فيه بلا تقطيع، (وقوله: ثم قال رسول الله ﷺ: «أتبع أصحاب القليب لعنة»، يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي) فيكون عطفاً على قوله: عليك بقريش، (فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة) هو أنه أطلع على أنهم سيلقون في القليب، وأخبر بذلك في ضمن دعائه، وجاء كما قال، وهذا على رواية أبي ذرّ أتبع بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب.

ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب.

[إسلام حمزة]

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب، وكان أعز فتى في قريش، وأشد شكيمة، وكان إسلامه - فيما قاله العتقي - سنة ست،

(ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب) فيكون إخبارًا بأن الله أتبعهم، وهذا على رواية الباقرين: أتبع بالبناء للمفعول.

إسلام حمزة

(ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب) سيد الشهداء أسد الله وأسود رسوله خير أعمام المصطفى وأخوه من الرضاعة، أرضعتها ثوية؛ كما في الصحيح، ولا يشكل بأنه أسن من النبي ﷺ بسنتين أو أربع؛ لأنها أرضعتها في زمانين؛ كما قال البلاذري، وقريبه من أمه أيضًا؛ لأن أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة عم أمه أم النبي ﷺ، يكنى أبا عماره بضم العين بابن له من امرأة من بني النجار، وقيل: هي بنت له كني بها، وقيل: كنيته أبو يعلى وقدمه بعضهم.

قال السهيلي: ولم يعيش لحمزة ولد غير يعلى وأعقب خمسة بنين ثم انقرض عقبهم، فيما ذكر مصعب. (وكان) كما قال ابن إسحاق (أعز فتى) أي: أقوى شاب، (في قريش وأشدّه) أي: أشد فتى، والمراد به الجنس؛ لأن اسم التفضيل بعض ما يضاف إليه فلا بدّ من حمل فتى على ما يشمله وغيره ليكون الأعز والأشد واحدًا منهم، (شكيمة) بفتح المعجمة وكسر الكاف، يقال: كما في الصحاح وغيره لمن كان عزيز النفس: أيبًا قويًا، وأصله من شكيمة اللجام الحديدية المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس، ويقال: شكيم أيضًا، والجمع شكائم.

(وكان إسلامه فيما قاله العتقي) وابن الجوزي (سنة ست) من النبوة، وقيل: في السنة الثانية بالنون، قطع به في الإصابة، وصدر به في الاستيعاب، وتبعه المصنف في ذكر الأعمام وسببه أن أبا جهل آذى النبي ﷺ وبالغ في تنقيصه وما جاء به عند الصفا؛ كما لابن إسحاق ولغيره عند الحجون ولا مانع من تكرره، فأخبرته مولاة ابن جدعان؛ كما عند ابن إسحاق ولغيره صفيّة أخته، ولا منافاة فعند ابن أبي حاتم: فأخبره امرأتان فغضب حمزة لما أراد الله من إكرامه فجاء المسجد فعلا رأس اللعين بقوسه فشجّه شجرة منكرا وقال: أتشتمه وأنا على دينه، فردّ ذلك عليّ إن استطعت، فقام رجال من بني مخزوم لنصره، فقال: دعوا أبا عماره، فإنني والله لقد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا، وعند ابن أبي حاتم: فقال حمزة: ديني دين محمد، إن كنتم صادقين

فَعَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَفَتْ عَنْهُ قَرِيشٌ قَلِيلًا، وَقَالَ حَمْزَةُ حِينَ أَسْلَمَ:
 حَمَدَتِ اللَّهُ حِينَ هَدَى فُرَّادِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدَيْنِ الْحَنِيفِ
 لَدَيْنِ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفٍ

فامنعوني، فوثبت إليه قريش، فقالوا: يا أبا يعلى، يا أبا يعلى، أي ما هذا الذي تصنع؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦]، إلى قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦]، (فَعَزَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَفَتْ عَنْهُ قَرِيشٌ قَلِيلًا) أي: بعض ما كانوا ينالون منه؛ كما عبّر به ابن إسحق لشدة، وعلمهم أنه يمنعه، (وقال حمزة حين أسلم: حمدت الله حين هدى فُرَّادِي إِلَى الثَّباتِ عَلَى (الإسلام) بعد ترددي في البقاء عليه، فعند يونس بن بكير عن ابن إسحق: ثم رجع حمزة، أي: بعد إسلامه وشجّه أبا جهل إلى بيته، فقال: أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك للموت، خير لك بما صنعت، وقال: اللهم إن كان هذا رشدًا، فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجًا، فبات بلبلة لم يبت مثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه وإقامة مثلي على ما لا أدري أهو رشد أم لا؟ غي شديد، فحدثني حديثًا فقد انتهيت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل ﷺ فذكره ووعظه وخوّفه وبشّره، فألقى الله في قلبه الإيمان بما قاله ﷺ، فقال: أشهد أنك الصادق، فأظهر دينك، فوالله ما أحب أن لي ما ظلت السماء وأنا على ديني الأول، وتمّ حمزة إسلامه، وعلى ما بايع عليه النبي ﷺ.

(والدين الحنيف) عطف تفسير بجعل الإسلام نفس الأحكام أو مغاير يحمله على الانقياد الباطني والدين على الأحكام المشروعة، والمعنى: حمدت الله حين دلّني على حقيقة هذا الدين، فانقدت إليه باطنًا وتلبّست به ظاهرًا فيكون جمع التصديق والإدعان والإقرار والانقياد الظاهري (لدين) بدل من قوله: إلى الإسلام، (جاء من ربّ عزيز) ممتنع لا يدرك ولا ينال أو غالب أو جليل القدر أو لا نظير له أو معزّز لغيره، وفي إتيانه بهذا اسم هنا لطافة ومناسبة ظاهرة للإيماء إلى أن المشركين وإن عاندوا وجحدوا مآلهم إلى الذلّ بالقتل والأسر، ومآل هذا الدين الحنيف إلى العزة والظهور؛ لمجيئه من العزيز.

(خبير بالعباد) مطلع على حقيقة الشيء عالم به أو مخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزّل عليهم وعباده يوم القيامة بأعمالهم، إذ لا يعزب عن علمه شيء، وفي ذكره إيماء إلى أن سبّهم للمصطفى وإيذاءهم سينالون عقابه من الخبير (بهم) متعلّق بقوله: (لطيف) مقدّم عليه، أي: لطيف بعباده برّهم وفاجرهم، حيث لم يهلكهم جوعًا وعطشًا بمعاصيهم، وفي ذكره رمز إلى أن المشركين لا يغتزّوا بالنعم، وقد كذبوا المرسلين؛ لأن هذا من لطف الله بهم في الدنيا ومتاعها

إذا تليت رسائله علينا تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلّمه لقوم ولما نقض فيهم بالسيوف
وعند مغلطاي: وسألوه - يعني: النبي ﷺ - إن كنت تطلب الشرف فينا

قليل، (إذا تليت رسائله) أي: أحكام الرب التي أمرنا بها (علينا) وسئى ما جاء به من الله رسالة؛ لأن جبريل بلغه إياه عن الله وأمره بتبليغه للناس، (تحدر) تساقط (دمع ذي اللب) العقل (الحصيف) بحاء وصاد مهملتين، أي: الكامل المحكم لنا إليها وتفكرًا وفي أحكامها بمجيب النظم وبديع المعاني وتفصيلها بالأحكام والقصص والمواعظ، (رسائل جاء أحمد من) أجل (هداها) أي: الرشد بها أو الدلالة عليها (بآيات) ظاهرة (مبينة الحروف) يعني القراءان، (وأحمد مصطفى) مختار من الخلق (فينا) متعلق بقوله: (مطاع) أي: واجب الطاعة لما ظهر على يديه من الآيات، فلا عبرة بمخالفة المنكرين ولا اعتداد بها لظهور بطلانها، (فلا تغشوه) تغفّوا ما جاء به من الحق (بالقول العنيف) الباطل الموقع في المشقة والتعب من العنف بالضم ضد الرفق، (فلا والله نسلّمه لقوم) ولا نترك نصرته (ولما نقض) بالنون والبناء للفاعل: نحكم، (فيهم) أي: نستأصلهم قتلاً (بالسيوف) بل نقاتل دونه إلى منتهى الطاقة، وهذا أولى من قراءة يقض بتحتية مبيئًا للمفعول، وبعده:

ونترك منهم قتلى بقاع عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شرّ جزاء قوم ولا أسقاهم صوب الخريف
الورد بكسر الواو وسكون الراء العكوف بضم العين، أي: إن الطير مستديرة على القتلى كالقوم المجتمعين على الماء المستديرين حوله، (وعند مغلطاي) بضم الميم وسكون الغين، (وسألوه، يعني النبي ﷺ) حين أسلم حمزة ورأوا الصحابة يزيدون؛ كما أخرجه ابن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسئى السائلين أن عتبة وشيبة وابن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبى البختری والأسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبى جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف والعاصي بن وائل ونبيهة ومنبهاً اجتمعوا، فقالوا: يا محمد ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسقّيت الأحلام وشتمت الآلهة، فما من قبيح إلا وقد جلبته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، (وإن كنت تطلب الشرف فينا،

فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الأمر الذي يأتيك رثيًا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر.

فنحن نسودك علينا) زاد في رواية: حتى لا نقطع أمرًا دونك، (وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا) فانظر إلى حمقهم وجهلهم رضوه ملكًا مع أن الغالب من الملوك التجبر وسلب الأموال بغير حق، ولم يرضوا به نبيًا رسولاً يدعوهم إلى الصراط المستقيم، ويوصلهم جنات النعيم.

(وإن كان هذا الأمر الذي يأتيك رثيًا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك) مثلث الطاء العلاج في النفس والجسم؛ كما في النور والقاموس. (حتى نبرئك منه أو نعذر) بفتح النون وضمتها من عذر واعتذر، أي: يرتفع عنا اللوم؛ كما في المصباح. وروى ابن أبي شيبة وغيره عن ابن عمر وأبو يعلى بسند جيّد عن جابر: اجتمع نفر من قريش يومًا، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فزق جماعتنا وشقت أمرنا وعاب ديننا، فليكلّمه ولينظر ماذا يرّد عليه، قالوا: ما نعلم أحدًا غير عتبة بن ربيعة، وعند ابن إسحق والبيهقي وغيرهما عن محمد بن كعب القرظي، قال: حدثت أن عتبة قال يومًا، وكان جالسًا في نادي قريش والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، إنك متّا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم وسقّيت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم؛ فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال: يا ابن أخي، إن كنت... فذكر الأمور الأربع، حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يسمع منه، قال له: «أقد فرغت أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاسمع مني»، قال: افعل، قال ﷺ: «﴿بسم الله الرحمن الرحيم حم، تنزيل من الرحمن الرحيم﴾» [فصلت: ١ - ٢]، إلى قوله ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف، ثم انتهى إلى السجدة سجد. ثم قال: «قد سمعت أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك» الحديث، في عدم رجوع عتبة لقومه وظنهم لإسلامه وذهابهم به وغضبه لذلك وحلفه لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: قد علمتم أنه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم، فأطيعوني واعتزلوه فإن يصبه غيركم كفيتموه، وإن ظهر فملكه ملككم وعزّه عزكم، فقال: سحرك والله يا أبا الوليد، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم، والظاهر: أن هذه القصة في مرة ثانية قبل مجيء عتبة مع الجماعة أو بعده فأجابه المصطفى بما ذكر.

فقال لهم عليه الصلاة والسلام: ما بي ما تقولون، ولكن الله بعثني رسولا، وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله بيني وبينكم.

والرئي - بفتح الراء، وقد تكسر، ثم همزة، فياء مشددة - جني يرى فيحب، المكسورة للمحسوب منها. قاله في القاموس.

ثم إن النضر بن الحرث،

وأما مع الجماعة، فأجابهم: (فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «ما بي ما تقولون» أي: ولا شيء منه، بدليل قوله: (ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا) بالجنة إن صدقتم (ونذيرا) منذرا بالنار إن كذبتم، (فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوا علي أصبر) بالجزم جواب الشرط، (لأمر الله بيني وبينكم).

وفي بقية حديث ابن عباس هذا، فقالوا له: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلاذا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا، فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ولييسر لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا. كالشام والعراق، ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصي، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل، وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك، ويجعل لك جناتا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الأسواق والتماس المعاش، فإن لم تفعل، فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن يفعل، فقام عليه السلام... الحديث، وفيه: فأقسم أبو جهل ليرضخن رأسه بحجر غدا، فلما دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يدها على حجره حتى قذفه من يده، وقال: عرض لي فحل لبل ما رأيت مثله، فهم أن يأكلني؛ قال ابن إسحق: فذكر لي أنه عليه السلام قال: «ذاك جبريل لو دنا لأخذه».

(والرئي) بزنة كمي (بفتح الراء، وقد تكسر) لاتباعها ما بعدها، (ثم همزة فياء مشددة جني يرى فيحب) فعيل أو مفعول سمي به؛ لأنه يتراءى لمتبوعه أو هو من الرأي من قولهم: فلان رأي قومه إذا كان صاحب رأيهم؛ كما في النور.

(و) قيل الراء (المكسورة للمحسوب منها) أي: جماعة الجن إلا أن لفظ القاموس منهم وهو أصح، (قاله في القاموس) اللغوي (ثم إن النضر) بنون وضاد معجمة ساكنة (ابن الحرث)

وعقبة بن أبي معيط ذهبا إلى أحبار يهود، فسألهم عنه عليه السلام فقالوا لهما: سلوه عن ثلاثة، فإن أخبركما بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يجب فهو متقوّل

بن علقمة بن كلدّة بفتح الكاف واللام العبدري المشتري لهو الحديث القائل: اللهم إن كان هذا هو الحق... الخ، أسر بيدر وقتل كافراً بالصفراء بإجماع أهل السير، وهم ابن منده وأبو نعيم، فقالا: شهد حينئذ مع النبي ﷺ وأعطاه مائة من الإبل وكان من المؤلّفة وقلبا نسبه فقالا: كلدّة بن علقمة، وأطنب الحافظ العزّ بن الأثير وغيره من الحفاظ في تغليظهما والردّ عليهما، وتعقّب باحتمال أن يكون له أخ سمي باسمه فهو الذي ذكره لا هذا المقتول كافراً؛ كذا في الإصابة، وفي متغزي ابن عبد البرّ ذكر في المؤلّفة قلوبهم النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدّة أخو النضر بن الحرث المقتول بيدر صبراً، انتهى. فجزم بأنه أخوه.

(وعقبة) بقاف (ابن أبي معيط) أحد رؤوس الكفر لعنه الله قتل بعد بدر، (ذهبا) إلى المدينة بيعت قريش لهما بعد مراجعة بينهم وبين النضر؛ كما رواه ابن إسحق والبيهقي، عن ابن عباس، قال: إن النضر كان من شياطين قريش، فقال: يا معشر قريش، والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمّد فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم الشيب في صدغيه وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، وقلت: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، وقلت: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، وقلت: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، فلما قال ذلك بعثوه مع عتبة (إلى أحبار) بفتح الهمزة جمع خبر بفتح الحاء وكسرهما، أي: علماء (يهود) علم لمن دخل دين اليهودية غير مصروف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول أل فلا يمتنع التثنية لنقله من وزن الفعل إلى باب الأسماء، (فسألهم عنه عليه السلام) بعد إخبارهما لهم بصفته وبعض قوله: وقولهما إنكم أهل الكتاب الأوّل، أي: التوراة، وعندكم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، وقد أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا؛ كما في حديث ابن عباس.

(فقالوا لهما: سلوه عن ثلاثة، فإن أخبركم بهنّ) على طريق الحقيقة والإجمال؛ لأنه لم يجب عن الروح إلا إجمالاً، لأنها مما استأثر الله بعلمه. وفي بعض التفاسير: إن أجابكم عن البعض فهو نبيّ، وفي كتابهم: إن الروح من الله. وفي رواية: إن أجابكم عن حقيقة الروح فليس بنبيّ، وإن أجابكم بأنها من أمر الله، فهو نبيّ.

وفي رواية: إن أجاب عن كلّها أو لم يجب عن شيء فليس بنبيّ، وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد (فهو نبيّ مرسل) تأسيس إذ لا يلزم من النبوة الرسالة على المشهور، (وإن لم يجب) عن شيء منها بأن سكّت أو أجاب عن جميعها تفصيلاً (فهو متقوّل) اسم فاعل من

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن رجل طواف، وعن الروح ما هو؟ فقال لهم عليه السلام: أخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فلبث الوحي أياماً، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف/ ٢٣ - ٢٤] وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا،

تقول، أي: ذاك ما لا حقيقة له، (سلوه) أمر من سال مخفف سأل (عن فتية ذهبوا في الدهر الأول) أي: الزمان المتقدم، سموه أول بالنظر لتقدمه على زمانهم بمدة طويلة، وبقية الرواية: ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجيب (وعن رجل طواف) قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه (وعن الروح) يذكر ويؤث، ولذا قال: (ما هو) فأقبل النضر وعقبة، وقالوا: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، فجاؤوا رسول الله فسألوه، (فقال لهم عليه السلام: «أخبركم غداً»، ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياماً) خمسة عشر يوماً؛ كما عند ابن إسحق عن ابن عباس، وفي سير التيمي وابن عقبة: إنما أبطأ ثلاثة أيام، وعن مجاهد: اثنا عشر، وقيل: أربعة، وقيل: أربعين، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: قد قلاه ربه وتركه، وقالت حمالة الحطب: ما أرى صاحبك إلا وقد ودّعك وقلاك. وفي رواية: فقالت امرأة قريش: أبطأ عليه شيطانه، حتى أحزنه ذلك عليه السلام.

وقد نزل في الرد عليهم: ﴿والضحى والليل إذا سجى﴾ وما ودّعك ربك وما قلى﴾ [الضحى: ١ - ٢١]، وأفشاه الله تعالى في سورة الكهف والإسراء عن مسألتهم، (ثم نزل قوله تعالى: ﴿عَتَابًا لِّبَنِيهِ﴾ ﴿وَلَا تَقُولْنَ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣ / ٢٤]) استثناء من النهي، أي: لا تقولن لشيء تعزم عليه إني فاعله في المستقبل إلا ملتبساً بمشيئة الله، قائلاً: إن شاء الله، وقيل: المراد وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه، والأول أوفق بكونه عتاباً على عدم الاستثناء، (وأنزل الله تعالى ذكر الفتية) جمع قلة لفتى أثره على جمع الكثرة وهو فتیان لكونهم دون عشرة، (الذين ذهبوا) ولا يعلمهم إلا قليل، قال ابن عباس: أنا من القليل، وذكر أنهم سبعة، وفي رواية عنه: ثمانية، أخرجهما ابن أبي حاتم، وفي التلغظ بأسمائهم خلف تركته لقول الحافظ في النطق بها اختلاف كثير لا يقع الوثوق من ضبطها بشيء، انتهى.

وعن ابن عباس: لم يبق منهم شيء بل صاروا تراباً قبل البعث، وقيل: لم تأكلهم الأرض ولم تغيّرهم، وفي معجمات الأقران أكثر العلماء على أنهم كانوا بعد عيسى، وذهب ابن قتيبة إلى أنهم كانوا قبله، وأنه أخبر قومه خبرهم، وأن يقطعتهم بعد رفعه زمن الفترة. وفي تفسير ابن مردويه، عن ابن عباس: أصحاب الكهف أعوان المهدي، قال الحافظ: وسنده ضعيف، فإن ثبت حمل على أنهم لم يموتوا بل هم في المنام إلى أن يبعثوا لإعانة المهدي، وقد ورد حديث آخر بسند واه أنهم يحجّون مع عيسى بن مريم، انتهى.

وهم أصحاب الكهف، وذكر الرجل الطوّاف. وهو ذو القرنين.

(وهم أصحاب الكهف) الغار الواسع في الجبل الرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو الصخرة التي أطبقت على الوادي، أو اسم قريتهم أو كلبهم أو لوح من رصاص كتب فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف، أو كتب فيه شرعهم الذي كانوا عليه، أو الدواة. واختلف في مكان الكهف، فالذي تظافرت به الأخبار أنه في بلاد الروم. وروى الطبري بإسناد ضعيف عن ابن عباس: أنه بالقرب من أيلة، وقيل: قرب طرسوس، وقيل: بين أيلة وفلسطين، وقيل: بقرب زايزاء، وقيل: بغرناطة من الأندلس، انتهى ملخصاً من فتح الباري. وذكر غيره أن اسم البلد الذي هو بها بالروم وعريسوس، وفي الفتح أيضاً.

وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطوّلة غير مرفوعة، وملخصها: أنهم كانوا في مملكة جبار يعبدون الأوثان فخرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم فأخبروا الملك، فأمر بكتابة أسمائهم في لوح من رصاص وجعله في خزانته، ودخل الفتية فضرب الله على آذانهم فناموا، فأرسل الله من يقليبهم ويحوّل الشمس عنهم، فلو طلعت عليهم لأحرقتهم، ولولا أنهم يقليبون لأكلتهم الأرض، ثم ذهب الملك وجاء آخر فكسر الأوثان وعبد الله وعدل، فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا أحدهم يأتيهم بما يأكلون، فدخل المدينة مستخفياً فرأى هيئة وناساً أنكرهم لطول المدة فدفع درهماً لخباز فاستنكر ضربه، وهم بأن يرفعه إلى الملك، فقال: أتخوفني بالملك وأبي دهقانه؟ فقال: من أبوك؟ قال: فلان، فلم يعرفه فاجتمع الناس فرفعوه إلى الملك، فسأله فقال: عليّ باللوح وكان قد سمع به فسوّى أصحابه فرفعهم من اللوح، فكبر الناس وانطلقوا إلى الكهف وسبق الفتى، لئلاً يخافوا من الجيش، فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان، فلم يدر أين ذهب الفتى، فاتفقوا على أن يبنوا عليهم مسجداً، فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم، انتهى.

(وذكر الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين) الأكبر الحميري المختلف في نبوّته والأكثر وصحّ أنه كان من الملوك الصالحين، وذكر الأزرقي وغيره أنه حجّ وطاف مع إبراهيم وآمن به وأتبعه وكان الخضر وزيره. وعن عليّ: لا نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه إلى عبادة الله فضربوه على قرني رأسه ضربتين، وفيكم مثله - يعني نفسه -، رواه الزبير بن بكار وابن عيينة في جامعهم بإسناد صحيح وصححه الضياء في المختارة، وقيل: كان من الملائكة، حكاه الثعلبي، وقيل: من بنات آدم وأبوه من الملائكة، حكاه الجاحظ في كتاب الحيوان.

لقّب بذئ القرنين واسمه الصعب على الراجح؛ كما في الفتح، أو المنذر أو هرمس أو

.....

هردويس أو عبد الله أو غير ذلك، وفي اسم أبيه أيضًا خلاف لطوانه قرني الدنيا شرقها وغربها؛ كما في حديث، أو لانقراض قرنين من الناس في أيامه، أو لأنه كان له ضفيرتان من شعر، والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنًا، أو لأن لتاجه قرنين أو على رأسه ما يشبه القرنين، أو لكرم طرفيه أُنًا وأُنًا، أو لرؤياه أنه أخذ بقرني الشمس، أو لغير ذلك أقوال. قال البيضاوي: ويحتمل لشجاعته، كما يقال الكبش للشجاع، لأنه ينطح أقرانه.

وأما ذو القرنين الأصغر فهو الاسكندر اليوناني قتل دارًا وسلبه ملكه وتزوج ابنته، واجتمع له الروم وفارس ولذا سمي بذلك. قال السهيلي: ويحتمل أنه لقّب به تشبيهًا بالأول، لملكه ما بين المشرق والمغرب فيما قبل أيضًا واستظهره الحافظ وضعف قول من زعم أن الثاني هو المذكور في القرآن، كما أشار إليه البخاري بذكره قبل إبراهيم؛ لأن الاسكندر كان قريبًا من زمن عيسى، وبين إبراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة، قال: والحق أن الذي قصّ الله نبأه في القرآن هو المتقدّم، والفرق بينهما من وجوه:

أحدها: إن الذي يدلّ على تقدّم ذي القرنين ما روى الفاكهي، طريق عبيد بن عمير أحد كبار التابعين حجّ ماشيًا فسمع به إبراهيم، فتلّقه. ومن طريق عطاء عن ابن عباس: أن ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على إبراهيم وصافحه، ويقال إنه أول من صافح. ومن طريق عثمان بن ساج أنه سأل إبراهيم أن يدعو له، فقال: وكيف وقد أفسدتم بئري؟ فقال: لم يكن ذلك عن أمري، يعني أن بعض الجند فعل ذلك بغير علمه. وذكر ابن هشام في التيجان أن إبراهيم تحاكم إلى ذي القرنين في بئر فحكم له.

وروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أحمر: قدم ذو القرنين مكّة فوجد إبراهيم وإسماعيل بينان الكعبة، فاستفهمهما عن ذلك، فقالا: نحن عبدان مأموران، فقال: من يشهد لكما؟ فقامت خمسة أكبش فشهدت، فقال: صدقتما، قال: وأظنّ الأكبش المذكورة حجارة، ويحتمل أن تكون غنما، فهذه الآثار يشدّ بعضها بعضًا وتدلّ على قدم عهد ذي القرنين.

الوجه الثاني: قال الفخر الرازي: كان ذو القرنين نبيا والاسكندر كافرًا ومعلمه أرسطاطاليس، وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك.

ثالثها: كان ذو القرنين من العرب والاسكندر من اليونان من ولد يافث بن نوح على الأرجح، والعرب كلّها من ولد سام بن نوح باتفاق، وإن اختلف هل كلّهم من ولد إسماعيل أم لا؟ فافترقا، وشبهة من قال: إن ذا القرنين هو الاسكندر.

ما أخرجه ابن جرير ومحمد بن الربيع الجيري: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن ذي القرنين،

وقال فيما سأله عن الروح ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء/٨٥] الآية.

وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقالوا: ما رابكم إليه،

فقال: «كان من الروم فأعطى ملكاً فسار إلى مصر فبنى الاسكندرية فلما فرغ أتاه ملك فخرج به، فقال: انظر ما تحتك، فقال: أرى مدينتي ومدائن حولها، ثم عرج به فقال: انظر ما تحتك، قال: أرى مدينة واحدة، قال: تلك الأرض كلها، وإنما أراد الله تعالى أن يريك، وقد جعل الله لك في الأرض سلطاناً، فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم»، وهذا لو صبح لرفع النزاع كله، لكنه ضعيف، انتهى. وذكر نحوه الحافظ ابن كثير وصوب أيضاً أن ذا القرنين غير الاسكندر فعض عليه بالنواجذ. (وقال فيما سأله) ما مصدرية، أي: في جواب سؤالهم (عن الروح) ولعل حكمة المغايرة بينه وبين ما قبله أنه بين فيه نفس المسؤول عنه وهو الفتية والرجل، ولم يبينه هنا بل ردّ علمه إليه سبحانه، فقال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥]، أي: علمه لا تعلمونه.

(وفي البخاري) في العلم والتفسير والاعتصام والتوحيد ما يعارض ما علم من أن السؤال من قریش بمكة، فإنه أخرج (من حديث عبد الله بن مسعود، قال: بينا أنا) أمشي (مع النبي ﷺ في حرث) بفتح الحاء وراء مهملتين فمثلة، أي: زرع، وفي العلم: في خرب المدينة بمعجمة مفتوحة وراء مكسورة وموحدة، قال الحافظ: والأول أصوب لرواية مسلم في ثخل، زاد في العلم: بالمدينة، وابن مردويه: للأنباء، (وهو متكئ) معتمد، وفي العلم: وهو يتكئ (على عسيب) بفتح العين وكسر السين المهملتين وسكون التحتانية وموحدة، وهي الجريدة التي لا خوص فيها، ولابن حبان: ومعه جريدة، (إذ مر اليهود)، كذا في التفسير بالرفع على الفاعلية في المواضع الثلاثة فرّ بنفر من اليهود، وكذا رواه مسلم، قال الحافظ فيحمل على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلاً مرّ بالآخر، ولم أقف في شيء من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود، (فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح) وفي الاعتصام والتوحيد: وقال بعضهم: لا تسأله، (فقالوا): وفي العلم والتفسير: قال بالإفراد، أي: بعضهم، (ما رابكم إليه) بلفظ الفعل الماضي بلا همز من الريب، قال عياض: أي ما شككم في أمر الروح، أو ما الريب الذي رابكم حتى احتجتم إلى معرفته والسؤال عنه، أو ما دعاكم إلى شيء يسوءكم عقباه، ألا ترى قوله: لا يستقبلكم... الخ، انتهى.

وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت إنه يوحى إليه، فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء/٨٥] الآية.

وللحموي: ما رأيكم بهزمة مفتوحة وموحدة مضمومة من الرأب، وهو الإصلاح، يقال فيه: رأب بين القوم إذا أصلح بينهم، قال الحافظ: وفي توجيهه هنا بعد، وقال الخطابي: الصواب ما أريكم بتقديم الهزمة وفتحتين من الأرب وهو الحاجة، وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية، نعم رأيته في رواية المسعودي عن الأعمش عند الطبري، كذلك قال. وفي رواية القابسي، قال المصنف: رأيته عن الحموي أيضاً: ما رأيكم بسكون الهزمة وتحتية بدل الموحدة من الرأي.

(وقال بعضهم: لا يستقبلكم) بالرفع على الاستئناف، أي: لا تسألوه لئلا يستقبلكم لا بالجزم لانتفاء شرطه وهو صحة وقوع إن الشرطية قبل أداة النهي مع استقامة المعنى، إذ لا يستقيم هنا أن لا تسألوه يستقبلكم، قال في الفتح: ويجوز السكون وكذا النصب أيضاً، انتهى. ولعل الجزم على النهي مبني على رأي من لا يشترط ذلك. (بشيء) وفي العلم: لا تسألوه لا يجيء بشيء (تكرهونه) إن لم يفسره؛ لأنهم قالوا: إن فسره فليس بنبي؛ لأن في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من عباده، فإذا لم يفسره دلّ على نبوته وهم يكرهونها، وقامت الحجّة عليهم في نبوته. وفي الاعتصام: لا يسمعكم ما تكرهون، (فقالوا): سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك فلم يردّ عليهم شيئاً) وللكشيمهني: عليه بالإفراد، أي: السائل. وفي العلم: فقال بعضهم: لنبأته، فقام رجل منهم، فقال: يا أبا القسم! ما الروح؟ فسكت. وفي الاعتصام: فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القسم! حدّثنا عن الروح، فأقام ساعة ينظر، قال ابن مسعود: (فعلمت) وفي التوحيد: فظننت، وفي الاعتصام: فقلت (إنه يوحى إليه) وهي متقاربة وإطلاق العلم على الظن مشهور، وكذا إطلاق القول على ما يقع في النفس؛ كما في الفتح. (فقامت مقامي)، أي: مكثت بمحلي الذي كنت فيه.

وفي العلم: فقامت فقط، أي: حتى لا أكون مشوّشاً عليه، أو فقامت حائلاً بينه وبينهم؛ كما في المصنف. وفي الاعتصام: فتأخّرت، قال الحافظ: أي أدباً معه لئلا يتشوّش بقربي منه، انتهى. ولا ينافيه رواية مقامي؛ لأنه تأخّر قليلاً فكأنه فيه، (فلما نزل الوحي) وفي العلم: فلما انجلى عنه، أي الكرب الذي كان يغشاه حال الوحي.

(قال) وفي الاعتصام حتى صعد الوحي، فقال ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ أي من الإبداعات الكائنة يكن من غير مادّة وتولد عن أصل، واقتصر على هذا الجواب؛ كما اقتصر موسى في جواب وما ربّ العالمين بذكر بعض صفاته؛ لكونها مما استأثر الله بعلمه،

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي - فيما يظهر من باديء الرأي - أن هذه آية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكية.

وقد يجاب عن هذا: بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك. ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت. الحديث. انتهى.

وهذا الحديث رواه الترمذي أيضاً باسناد رجاله رجال مسلم.

فيحمل على تعدد النزول كما أشار إليه ابن كثير،

ولأن في عدم بيانها تصديقاً لنبوته، زاد البخاري في التوحيد: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]، فقال بعضهم لبعض: قد قلنا لكم لا تسألوه.

(قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي فيما يظهر من باديء الرأي) بالهمز، أي: أوله من غير تثبت وتفكر فيه أو ظاهره دون تفكر فيه باطلاً، (أن هذه آية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية) وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء: ٧٣]، إلى آخر ثمان آيات؛ كما في الأنوار، وبه جزم الجلال، (وقد يجاب عن هذا) الاختلاف (بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة؛ كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الإمام أحمد من حديث ابن عباس، قال: قالت قريش لليهود: أعطونا) بفتح الهمزة (شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت... الحديث، انتهى).

(وهذا الحديث) الذي عزاه ابن كثير لأحمد، (رواه الترمذي أيضاً) وقال انه صحيح فقصر ابن كثير بل عليه معمر في غزوه لأحمد فقط؛ لأن الحديث إذا كان في أحد الستة لا ينقل من غيرها إلا لزيادة أو صحة؛ كما قال مغلطي، فكيف وقد صرح الترمذي رواية بصحته وهو ظاهر؛ لأنه (باسناد رجاله رجال مسلم) فهو من المرتبة السادسة من مراتب الصحيح؛ كما في الألفية، وإن كان لا يلزم أنه كصحة ما رواه مسلم نفسه، كما نبه على ذلك ابن الصلاح في مقالة شرح مسلم، فقال: من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في الصحيح بأنه من شرط الصحيح عند مسلم، فقد غفل وأخطأ، بل ذلك يتوقف على النظر في كيفية روايته عنه، وعلى وجه أخرجه حديثه؟ (فيحمل على تعدد النزول؛ كما أشار إليه ابن كثير) وكذا الحافظ ابن

ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك.
وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر:
فقليل: روح الإنسان. وقيل: جبريل. وقيل عيسى: وقيل ملك يقوم وحده
صفا يوم القيامة. وقيل غير ذلك.

ججر، وحيث قلنا بذلك فالعلم حاصل، فما وجه ترك المبادرة بالجواب؟. (و) جهه كما قال
الحافظ أنه (يحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك) قال: أعني
الحافظ، فإن ساغ هذا وإلا فما في الصحيح أصح.

وفي الاتقان: إذا استوى الإسنادان صحة رجع أحدهما بحضور رواية القصة ونحو ذلك
من وجوه الترجيحات، ومثل بحديثي ابن مسعود وابن عباس المذكورين، ثم قال: وحديث ابن
عباس يقتضي نزولها بمكة والأول خلافه، وقد يرجح بأن ما رواه البخاري أصح وبأن ابن مسعود
كان حاضر القصة لكنه نقل في الاتقان نفسه بعد قليل عن الزركشي في البرهان: قد ينزل الشيء
مرتين تعظيماً لشأنه وتذكيراً عند حدوث سببه خوف نسيانه، ثم ذكر منه آية الروح، فإن سورة
الإسراء مكية وسبب نزولها يدل على أنها نزلت بالمدينة، ولذا أشكل ذلك على بعضهم
ولا إشكال؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة، انتهى.

(وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر) لأن الروح جاء في
التنزيل على معانٍ، (فقليل: روح الإنسان) الذي يحيا به البدن، وقيل: روح الحيوان، (وقيل:
جبريل) كقوله: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ [مريم: ١٧]، (وقيل: عيسى) كقوله: روح منه. وقيل:
القرآن؛ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾ [الشورى: ٥٢]. وقيل: الوحي؛ كقوله: ﴿يلقي
الروح من أمره﴾ [غافر: ١٥].

(وقيل: ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة، وقيل غير ذلك) قليل: ملك له أحد عشر ألف
جناح ووجه، وقيل: ملك له سبعون ألف لسان، وقيل: سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون
ألف لسان، لكل لسان ألف لغة، يسبح الله بكلها فيخلق بكل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة،
وقيل: ملك رجلاه في الأرض السفلى ورأسه عند قائمة العرش. وقيل: خلق كخلق بني آدم،
يقال لهم الروح يأكلون ويشربون لا ينزل ملك من السماء إلا ومعه واحد منهم. وقيل: خلق يرون
الملائكة ولا تراهم الملائكة، كالملائكة لبني آدم؛ كذا ذكره ابن التين بزيادات من كلام غيره.
قال الحافظ: وهذا إنما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى: لفنا الروح الوارد في القرآن،
لا في خصوص هذه الآية، فمنه نزل به الروح، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾ [الشورى: ٥٢]،

وقال القرطبي: الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله، ولا تجهل أن جبريل ملك، وأن الملائكة أرواح.

وقال الإمام فخر الدين: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه: أن السؤال عن الروح يحتمل عن ماهيته، وهل هي متحيزة أم لا؟ وهل هي حالة في متحيز أم لا؟ وهل هي قديمة أم حادثة، وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد

يلقي الروح من أمره، ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، يوم يقوم الروح تنزل الملائكة والروح، فالأول جبريل، والثاني القرءان، والثالث الوحي، والرابع القوة، والخامس والسادس محتمل لجبريل ولغيره. وورد إطلاق روح الله على عيسى.

وروى إسحق، يعني ابن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح، عن ابن عباس، قال: الروح من أمر الله، وخلق من خلق الله، وصور كبنى آدم لا ينزل ملك إلا ومعه واحد من الروح، انتهى.

(قال القرطبي: الراجح) وهو قول الأكثر (أنهم سألوه عن روح الإنسان؛ لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله) واضح، وأما قوله: (ولا تجهل أن جبريل ملك، وأن الملائكة أرواح) فغير واضح، إذ سألهم تعنت وامتحان لا استفهام، كما هو معلوم، وجنح ابن القيم في كتاب الروح إلى ترجيح أن الروح المسؤول عنه، ما وقع في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨]، قال: فأما أرواح بني آدم فلم تسم في القرءان إلا نفثاً، قال الحافظ: ولا دلالة فيه لما رجحه بل الراجح الأول، فقد أخرج الطبري من طريق العوفي، عن ابن عباس، أنهم قالوا: أخبرنا عن الروح وكيف يعذب الروح الذي في الجسد، وإنا الروح من الله؟ فنزلت الآية.

(وقال الإمام فخر الدين الرازي) المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه أن السؤال عن الروح يحتمل أنه عن (ماهيته) أي: حقيقته، (وهل هي متميزة) منفصلة عن البدن غير حالة فيه، تتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق وتدبر أمره على وجه لا يعلمه إلا الله؛ كما قاله الغزالي والحكماء وكثير من الصوفية، (أم لا؟) بل حالة فيه حلول الزيت في الزيتون؛ كما قال جمهور أهل السنة.

(وهل هي حالة في متحيز، أم لا؟ وهل هي قديمة) كما قال الزنادقة، (أم حادثة؟) مخلوقة، كما أجمع عليه أهل السنة، ومن نقل الإجماع: محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة، ومن الأدلة عليه قوله ﷺ: «الأرواح جنود مجنّدة، والمجنّدة لا تكون إلا مخلوقة»، (وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد) بالموت وهو الصحيح والأخبار به طافحة، ففي فئائها عند القيامة ثم

وتفنى، وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها، وغير ذلك من متعلقاتها.

قال: وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني، إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية. وهل الروح قديمة أو حادثة؟ والجواب يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع والأخلاق وتركيبها، فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: «كن»، فكأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه.

قال: ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله تعالى: ﴿من أمر ربي﴾:

عودها توفية بظاهر قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦]، وعنده بل تكون مما استثنى الله في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ [النمل: ٨٧، الزمر: ٦٨] قولان، حكاهما السبكي في تفسيره، وقال الأقرب الثاني، (أو تفنى؟) كما قال الفلاسفة وشرذمة قليلة من الأندلسيين وشدد عليهم النكير ورد عليهم بما أخرجه ابن عساكر عن سحنون أنه ذكر عنده رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد، فقال: معاذ الله، هذا قول أهل البدع.

وقال ابن القيم: الصواب أنه إن أريد بذوقها للموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم فلا؛ بل هي باقية بإجماع في نعيم أو عذاب. (وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها؟ قال: وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني؛ إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية، وهل الروح قديمة أو حادثة؟ والجواب) الصادر من الله لنبيه (يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع) جمع طبيعة، وهي مزاج الإنسان المركب من الأخلاق؛ كما في المصباح ونحوه في القاموس. (والأخلاق) جمع خلط، قال في القاموس: أخلاط الإنسان أمزجته الأربعة.

(وتركيبها، فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: ﴿كن﴾) [يس: ٨٢]، قيل: هو عبارة عن سرعة الحصول، أي: متى تعلقت إرادته تعالى بشيء كان، وقيل: إذا أراد شيئاً قال قولاً نفسانياً له: ﴿كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، وعليه فكن علامة وسبب لوجود ما أراده تعالى؛ (فكأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه) إيجاده فهو تفسير للأمر، (ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد) بجعل الله تعالى إتيانها سبباً في وجود الحياة، فلا ينافي أن التأثير إنما هو بإرادته تعالى وخلقه (ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه، قال: ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله: ﴿من أمر ربي﴾) [الإسراء: ٨٥]،

الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود/٩٧] أي فعله. فيكون الجواب: أنها حادثة.

ثم قال: وقد سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها. انتهى.

وقال في فتح الباري: وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم:

ف قيل: هي النفس الداخل الخارج.

وقيل: جسم لطيف، يحل في جميع البدن.

وقيل: هي الدم.

وقيل: إن الأقوال فيها بلغت المائة.

ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين: أن لكل نبي خمسة أرواح، ولكل

مؤمن ثلاثة،
.....

(الفعل؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود: ٩٧])، أي: مرشد أو ذي رشد، وإنما هو غيبي محض وضلال صريح، (أي: فعله فيكون الجواب: أنها حادثة، ثم قال: سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها، انتهى) كلام الرازي.

(وقال في فتح الباري) في التفسير بعد نقله كلامي القرطبي والرازي المذكورين، (وقد تنطع قوم) من جميع الفرق، أي: تعمقوا وبالغوا في الكلام وخرجوا عن الحد في معرفة ماهية الروح، (فتباينت أقوالهم) قال بعضهم: وما ظفروا بطائل ولا رجعوا بنائل، (فقيل: هي النفس الداخل الخارج) وعزي للأشعري (وقيل: جسم لطيف يحل) بضم الحاء، (في جميع البدن) ويسري فيه «ريان ماء الورد فيه، وهذا اعتمده عامة المتكلمين من أهل السنة؛ كما قال المصنف وهو أقرب إلى الراجح. (وقيل: هي الدم) أسقط من الفتح، وقيل: هي عرض قبل قوله: (وقيل: إن الأقوال فيها بلغت المائة)، وقيل: هي أكثر من ألف قول، قال ابن جماعة: وليس فيها قول صحيح، بل هي قياسات وتخيلات عقلية.

(ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمسة أرواح)، فما به حياتهم روح، وما ثبت في قلوبهم من الإيمان روح، وما ترقوا به من معرفة الله وهدايتهم إلى الأعمال الصالحة واجتنابهم المناهي روح، ويشاركونهم المؤمنون في الثلاثة، وهو المراد بقوله: (ولكل مؤمن ثلاثة) وأيدت الأنبياء زيادة عليهم بقبول وحي الله ويسمى روحاً لحياة القلوب به وبقوة خلقها الله

ولكل حي واحدة.

وقال ابن العربي: اختلفوا في الروح والنفس، فقليل متغايران، وهو الحق،
وقيل هما شيء واحد،

فيهم، فيتمكّنون بها من سماع كلامه تعالى بلا واسطة فيتحققون أنه ليس من جنس كلام
البشر. ذكر الخمسة هذه ابن القيم في كتاب الروح ملخصاً، ولا تشكّل الأخيرة بأن الكلام لم
يقع للجميع؛ لأنه لا يلزم من خلق القوة وقوعه بالفعل، وهذا أولى من تفسير ثلاثة:

المؤمن، بما ذكره الأنصاري في شرح الرسالة القشيرية أن في باطن الجسد روح اليقظة،
وهي التي ما دامت فيه كان متيقظاً، فإذا فارقت نام ورأى المرائي.
وروح الحياة: التي ما دامت فيه كان حيّاً، فإذا فارقت مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر
البدن فقط.

والموت: انقطاعه عن ظاهره وباطنه، وروح الشيطان ومقرها الصدر؛ لقوله تعالى: ﴿الذي
يوسوس في صدور الناس﴾ [الناس: ٥]، انتهى؛ لأن هذه الثلاثة لا تخصّ المؤمن بل يشاركه الكافر.

(ولكل حي واحدة) بقية، نقل ابن منده؛ كما في الفتح، وإن سقط في كثير من نسخ
المصنّف: ونقل ابن القيم عن طائفة أن للكافر والمنافق روحاً واحدة، وقال: أمّا الروح التي تنفّس
وتقبض فواحدة، وما زاد عليها مما سمى روحاً مجاز، والمراد خاصة نسبتها لروح الحياة كنسبة
الروح إلى الجسد، فإنه إنما يحس ويدرك ويقوى بحلولها فيه، فإذا فقدها كان بمنزلة الجسد إذا
فقد روحه، قال: ويسمى قوى البدن روحاً، فيقال: الروح الباصر والسامع والشم ويطلق على
أخص من هذا كله وهو قوّة معرفة الله والإنابة إليه وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، فللعلم روح،
وللأجساد روح، وللإخلاص روح، انتهى. زاد البقاعي: ولكل من التوكل والمحبة والصدق روح،
والناس متفاوتون: فمن غلب عليه الأرواح صار روحانيّاً، ومن فقدتها أو أكثرها صار أرضيّاً مهيناً.

(وقال) القاضي محمّد أبو بكر (بن العربي) الحافظ المشهور (اختلفوا في الروح
والنفس، فقليل: متغايران) كما عليه فرقة محدثون وفقهاء وصوفية، قال السهيلي: ويدلّ عليه
﴿فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩]، وقوله: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في
نفسك، فإنه لا يصحّ جعل أحدهما موضع الآخر، ولولا التغاير لساغ ذلك، ولذا رجّحه ابن
العربي، فقال: (وهو الحق) فالنفس تخرج في النوم والروح في الجسد، والنفس لا تريد إلا الدنيا
والشيطان معها، والروح تدعو إلى الآخرة والملك معها، (وقيل: هما شيء واحد) قاله الأكثرون
وهو الصحيح؛ كما قال ابن القيم والسيوطي وسبقهما الإمام أبو الوليد بن رشد أحد أئمة
المالكية، فقال: إنه الصواب، وجزم به ابن السبكي وأقرّه شارحوه، وقيل: لابن آدم نفس مطمئنة

قال وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس.

وقال ابن بطال القرطبي حقيقتها مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر.

قال: والحكمة في إبهامه: اختبار الخلق، ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى.

وقال بعضهم: ليس في الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم. وقد قالوا في علم الساعة

ولوامة وأمرة، قال الصفوي: والتحقيق أنها واحدة لها تسمى باعتبار كل صفة باسم، (قال: أي ابن العربي، (وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس) حقيقة على الثاني ومجازاً على الأول، قال ابن العربي: كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء، بل الجماد مجازاً.

(قال) العلامة أبو الحسن علي بن خلف (بن بطال القرطبي) شارح البخاري أحد شيوخ ابن عبد البر كان من أهل العلم والمعرفة والفهم عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد، ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة، (معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر) كالقرءان وتلك الأقوال تنطع، (قال: والحكمة في إبهامه) أي: عدم بيان حقيقته، (اختبار) بموحدة (الخلق) ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم) يلجئهم (إلى رد العلم إليه) وأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الضاد.

(وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء؛ لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق من باب أولى،) ذكره بعد سابقه، إشارة إلى أن الاختبار إذا نسب إلى الحق كان مستعملاً في لازمه وهو إظهار عجز المختبر؛ لأن الاختبار الامتحان والقصد به طلب بيان ما عليه المختبر، وإنما يكون ممن لا يعلم حقيقة الحال لامن العليم بما في الصدور.

(وقال بعضهم: ليس في الآية) ولا في الحديث (دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح، بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يأمره أن يطلعهم) بل أمره بعدم اطلاعهم، وذكر في النموذج هذا الاحتمال قولاً، قال شارحه: والصحيح خلافه، (وقد قالوا في علم الساعة)

نحو هذا فالله أعلم. انتهى ملخصاً.

ولما كثر المسلمون، وظهر الإيمان،
.....

وباقى الخمس المذكورة في آية ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، (نحو هذا) يعني: أنه أوتي علمها ثم أمر بكتُمها، قال بعضهم: وظاهر الأحاديث ياباه، (فالله أعلم)، بحقيقة ذلك (انتهى) كلام الفتح (ملخصاً) وفيه بعد هذا: وممن رأى الإمساك عن ذلك الأستاذ أبو القسم القشيري، فقال بعد كلام الناس في الروح: وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدبه ﷺ، وقد قال الجنيد: إنها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه، فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود، وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير، وأجاب من خاض في ذلك: بأن اليهود سألوا عنها سؤال تعجيز وتغليظ؛ لكونه يطلق على أشياء فأضمرُوا أنه بأي شيء أجاب، قالوا: ليس هذا المراد، فردَّ الله كيدهم، وأجابهم جوابًا مجملًا كسؤالهم المجمل. وقال السهروردي: يجوز أن من خاض فيها سلك التأويل لا التفسير، إذ لا يسوغ إلا نقلًا.

أما التأويل فتمتدَّ العقول إليه بذكر ما تحتل الآية من غير قطع بأنه المراد، وقد خالف الجنيد ومن تبعه جماعة من متأخري الصوفية فأكثروا من القول في الروح، وصرَّح بعضهم بمعرفة حقيقتها وعاب من أمسك عنها، انتهى. ثم ذكر المصنِّف بعض ما أودى به المسلمون سنة الله في الذين خلوا من قبل؛ كما قال تعالى: ﴿الْم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١، ٢، ٣] الآية، يقال: نزلت في عمَّار. وفي البخاري عن خباب: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة، ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة، فقلت: يا رسول الله! ألا تدعو الله لنا؟ فقعده محمَّرًا وجهه، فقال: «إنه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه، وليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف الله، والذئب على غنمه»، انتهى.

إلا أن المصنِّف يشعر بأنه بعد إسلام حمزة وبعث المشركين إلى اليهود وليس بمراد؛ لأن إسلام حمزة في السادسة والهجرة الأولى في الخامسة، نعم يأتي على أن إسلامه في الثانية، فقال:

(ولما كثر المسلمون وظهر الإيمان) لم يقل الإسلام مع أنه أنسب بالمسلمون إيماء إلى أن ما صدقهما واحد إذ لا اعتداد بأحدهما دون الآخر شرعًا؛ فالإسلام النافع هو الانقياد ظاهرًا وباطنًا: لإجابة النبي ﷺ، ولا يتحقق بدون الإيمان، كما أن الإيمان الذي هو التصديق لاعتداده به

أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم.
حتى إنه مر عدو الله، أبو جهل، بسمية أم عمار بن ياسر، وهي تعذب
فطعنها في فرجها فقتلها.

وكان الصديق إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه، منهم بلال

شرعاً بدون انقياد، (أقبل كفار قريش) أي: التفتوا وسعوا لا الإقبال بالوجه (على من آمن) بإغراء
أبي جهل (يعذبونهم) بأنواع العذاب إن لم يكن لهم قوة ومنعة، (ويؤذونهم) بالتوبيخ بالكلام
ونحوه لمن له منعة؛ كما روي أن أبا جهل كان إذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لأمه،
وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهم حلمك ولنغلب رأيك ولنضعن شرفك؛ وإن كان
تاجراً، قال: لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، واستمر الملعون
في أذاه (حتى إنه) بكسر الهمزة (مر عدو الله أبو جهل بسمية) بضم المهملة مصغر، إحدى
السابقات كانت سابع سبعة في الإسلام، (أم عمار بن ياسر وهي تعذب) هي وابناها عمار
وعبد الله وأبوهما ياسر بن عامر؛ كما رواه البلاذري عن أم هانئ، قالت: فمر بهم النبي ﷺ،
فقال: «صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»، فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية لأبي جعل
(فطعنها في فرجها) بحربة وهي عجوز كبيرة (فقتلها) ورمى عبد الله فسقط. وقد روى ابن سعد
بسند صحيح عن مجاهد أن سمية أول شهداء الإسلام.

وروى ابن عبد البر عن ابن مسعود: أن أبا جهل طعن بحربة في فخذ سمية أم عمار حتى
بلغت فرجها فماتت، فقال عمار: يا رسول الله! بلغ منا أو بلغ منها العذاب كل مبلغ، فقال ﷺ:
«اصبر أبا اليقظان، اللهم لا تعذب من آل ياسر أحد بالنار»، وأما عمار ففرج الله عنه بعد طول
تعذيبه؛ فقد جاء أنه كان يعذب حتى لا يدري ما يقول، ورئي في ظهره أثر كالمخيط فسئل،
فقال: هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضان مكة، وجاء أنهم أحرقوه بالنار، فمر ﷺ فأمر يده
عليه، وقال: «يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار، كما كنت على إبراهيم»، (وكان الصديق إذا
مر بأحد من العبيد يعذب) أراد ما يشمل الإناث لكونهن فيهم (اشتراه منهم) من ساداتهم
المعذبين لهم، (وأعتقه) ابتغاء وجه ربه الأعلى، (منهم) من العبيد الذين اشتراهم: (بلال) بن رباح
براء مفتوحة فموحدة خفيفة فألف مهملة، الحبشي على المشهور، وهو ما رواه الطبراني وغيره
عن أنس، وقيل: النبوي ذكر ابن سعد أنه كان من مولدي السراة، وكان مولى بعض بني جمح،
ثم مولى الصديق. روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم أن أبا بكر اشتراه

وعامر بن فهيرة.

وعن أبي ذر: كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد.

بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة، (وعامر بن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وإسكان التحتانية وفتح الراء فتاء تأنيث، أسلم قديماً.

روى الطبراني عن عروة: أنه كان ممن يعذب في الله، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، وكذا اشترى أبا فكيهة. ذكر ابن إسحق: أنه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية بن خلف، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، واشترى أيضاً حمامة بفتح المهملة وخفة الميم، أم بلال وجارية بني المؤمل، قال في الإصابة: وردت في غالب الروايات غير مسماة وسماها البلاذري لبينة، أي: بلام وموحدة تصغير لبنة، والنهدية وابنتها وزبيرة وأمة بني زهرة.

(وعن أبي ذر: كان أول من أظهر الإسلام) لإظهار تاماً لا خفاء معه بحيث لا يبالي بمن علم به (سبعة) فلا ينافي إسلام كثيرين غيرهم، وإظهار بعضهم لبعض خفاء (رسول الله ﷺ) ودعا إلى الله وليس ثم من يوحدّه وهذا من أقوى شجاعته، (وأبو بكر) وكانت له اليد العليا في الإسلام وعادى قومه بعدما كان محبباً فيهم، ودفع عن المصطفى قولاً وبيداً ودعا إلى الله، وحسبه أن فضلاء الصحابة أسلموا على يده. (وعقار) بن ياسر المملوء إيماناً الصابر على البلوى أولاً وآخرًا، المجاهد في الله حق جهاده.

وروى الطبراني في الكبير عنه: قاتلت مع رسول الله ﷺ الجنّ والإنس، أرسلني إلى بئر بدر فلقيت الشيطان في صورة الإنس فصارعني فصرعته، فجعلت أدقّه بفهير أو حجر معي، فقال ﷺ: «عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله»، فرجعت فأخبرته، فقال: «ذاك الشيطان». (وأمة سمية) بنت سلم، قاله ابن سعد. وقال شيخه الواقدي: بنت خباط بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة، ويقال: بمثناة تحتية، وعند الفاكهي: بنت خبط بفتح أوله بلا ألف مولاة أبي حذيفة بن المغيرة، وكان ياسر حليفاً له فزوجه سمية فولدت عمّاراً، فأعتقه.

(وصهيب) بضمّ الميم المهملة وفتح الهاء وتحتية ساكنة فموحدة، ابن سنان الرومي مولى عبد الله بن جدعان أسلم هو وعمّار في يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلاً على يد المصطفى ومكثا عنده بقية يومهما، ثم خرجا مستخفين فدخل عمّار على أبيه، فسألاه أين كان، فأخبرهما بإسلامه وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك، فأعجبهما فأسلما على يده، فكان ﷺ يسميه الطيب المطيب.

(وبلال) المؤذن (والمقداد) بن عمرو المعروف بابن الأسود؛ لأنه تبنّاه شهد بدرًا

فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ليعذبونهم فألبسوه أدرع الحديد وصهروه في الشمس، وإن بلالاً هانت نفسه عليه في الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد. رواه أحمد في مسنده.

وعن مجاهد مثله، وزاد في قصة بلال: وجعلوا في عنقه حبلاً.....

والمشاهد كلها. (فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله) من أذية الكفار البالغة المتوالية، فلا ينافي وطء عتبة رقبته وسب أبي جهل، ونحو ذلك.

(يعمه أبي طالب) وبغيره كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أبا جهل لما أراد أذاه، ورؤيته أفق السماء سد عليه لما نذر أن يطاء عنقه الشريف، ورؤيته رجالاً عن يمينه وعن شماله معهم رماح، حتى قال: لو خالفته لكانت إتياء، أي: لأتوا على نفسه لما أخذ ﷺ بظلامه الزبيدي في جماله التي كان أكسدها عليه وظلمه، فأقبل إليه المصطفى، وقال «يا عمرو، إياك أن تعود لمثل ما صنعت، فترى مني ما تكره»، فجعل يقول: لا أعود لا أعود، كما بين في الأخبار، وكسرت ملك له بجناحه لما أرادته امرأة أبي لهب فلم تره، وغير ذلك من الآيات البيئات.

(وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه) من الأذى المتوالية (وأما سائرهم) أي: باقيهم، (فأخذهم المشركون يعذبونهم فألبسوه أدرع الحديد) جمع درع ولعل الإضافة للاحتراز عن نحو القمص، (وصهروه) بفتح الهاء مخققاً طرحوهم، (في الشمس) لتؤثر حرارتها فيهم (وإن بلالاً) بكسر الهمزة استئناف، (هانت نفسه عليه في الله عز وجل) فلم يبال بتعذيبهم، وصبر على أذاهم، (وهان على قومه) أي: مواليه، (فأخذوه فأعطوه الولدان) جمع وليد (فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد) قال البرهان: مرفوع منون كذا أحفظه، وكذا هو في أصلنا من سنن ابن ماجه خبر مبتدأ محذوف، أي: الله أحد، كأنه يشير إلى أنني لا أشرك بالله شيئاً، ويحتمل أنه مرفوع غير منون، أي: يا أحد، قال شيخنا: وأما النطق به حكاية لكلام بلال، فالظاهر أنه بالسكون لكونه موقوفاً عليه غير موصول بما يقتضي تحريكه، (رواه أحمد في مسنده، وعن مجاهد مثله.

وفيه: أنه نزل فيهم ﴿ثم إن ربك﴾ [النحل: ١١٠، ١١٩] الآية، وأخرجه بقي بن مخلد في مسنده، لكنه أبدل المقداد بخباب، (وزاد) مجاهد (في قصة بلال، وجعلوا في عنقه حبلاً

ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه.
 فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الإكراه على الكفر، وهو يقول أحد أحد،
 فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، وهذا كما وقع له أيضًا عند موته، كانت امرأته
 تقول: واحرباه وهو يقول: واطرباه. غدا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه، فمزج مرارة
 الموت بحلاوة اللقاء. والله در أبي محمد الشقراطي حيث قال:
 لاقى بلال بلاء من أمية قد أحله الصبر فيه أكرم النزل
 إذ أجهدوه.....

ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه) ليرجع إلى الكفر والله يعيده وحسبه
 بهذا منقبة، قال عمر: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا، وقال ﷺ لبلال: «سمعت دقّ نعليك في
 الجنة»، رواهما البخاري.

(فانظر كيف) تأمل صفته مع صبره، فليست كيف للاستفهام أو هي بتقدير مضاف، أي:
 انظر جواب السائل عن حاله، بقوله: كيف، (فعل ببلال ما فعل من الإكراه على الكفر) بيان لما
 (وهو يقول: أحد أحد، فمزج) خلط (مرارة العذاب) مشقته وألمه (بحلاوة الإيمان) أي: الراحة
 الحاصلة به فهو استعارة تصريحية فشبهه بحمله ألم العذاب بمن خلط الصبر ونحوه بنحو سكر
 فسهل عليه تناوله على أن في كون هذه الحلاوة حقيقية لأولياء الله أو استعارة خلافاً بشطه
 المصنّف في مقصد المحبة.

(وهذا كما وقع له أيضًا عند موته كانت امرأته تقول: واحرباه) روي بفتح الحاء والراء
 المهملتين والموحدة من الحرب بالتحريك، وهو كما في النهاية نهب مال الإنسان وتركه
 لا شيء له، وبفتح الحاء والزاي ونون وبضم الحاء وسكون الزاي، وروي: واحوباه بفتح الحاء
 وسكون الواو فموحدة من الحوب وهو الإثم، والمراد ألمها بشدة جزعها وقلقها في المصيبة أو
 من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف، كما في النسيم.

(وهو يقول: واطرباه) أي: فرحاه، (غدا ألقى الأحبة) الذين طال شوقي إليهم، (محمدًا
 وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء، والله در أبي محمد الشقراطي، حيث قال: في
 قصيدته المشهورة (لاقى بلال بلاء من أمية قد،) وروي إذا (أحله) من الحلول بالمكان، (الصبر
 فيه)، أي: أحله الصبر على البلاء الذي كان يعذب به لما أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاهم
 كلمة مما يريدون، ففي بمعنى على، (أكرم) بالنصب على الظرف مواضع (النزل) وهو طعام
 الضيف الذي يكرم به إذا نزل وأكرم تلك المواضع هو الجنة، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْلَا دَارَ الْمَقَامَةِ
 مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٥]، وفتر ما لاقاه، بقوله: (إذ) ظرف لقوله: لاقى أو أحله، (أجهدوه) حملوه

بضنك الأسر وهو على شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد عالوا عليه صخورًا جمّة الثقل
فوحّد الله إخلاصًا وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل
إن قدّ ظهر ولي الله من دبر قد قدّ قلب عدو الله من قبل

فوق طاقته من العذاب من الجهد وهو المشقّة (بضنك) ضيق (الأسر وهو على شدائد الأزل) بفتح الهمزة وبالزاي واللام الحبس والتضييق، (ثبت) مصدر بمعنى اسم الفاعل (الأزر) بزاي فراء القوّة، أي: ثابت القوّة، (لم يزل) بفتح الزاي من زال أخت كان وبضمها، أي: لم يزل عن ذلك وبين سبب ذلك بقوله: (ألقوه بطحا) مفعول مطلق، أي: إلقاء هو بطح على وجهه أو حال من ضمير الفاعل، أي: باطحين أو المفعول، أي: مبطوحًا (برمضاء) بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة ممدود، أي: بأرض اشتدّ وقع الشمس فيها سواء كان بها رمل أو حصى أو غيرهما، قاله أبو شامة.

وفي النور الرمضاء الرمل إذا اشتدّت حرارته، (البطاح) جمع بطحاء أو أبطح على غير القياس إذ قياس أبطح وبطحاء بطحاوات والكل مستعمل والإضافة من الأعمّ إلى الأخص كشجر أراك، أي: في أرض شديدة الحرّ، هي أودية واسعة، (وقد عالوا) مثل أعلوا، أي: رفعوا، (عليه صخورًا جمّة الثقل) أي: كثيرته وألقوها عليه.

وأخرج الزبير بن بكار وأبو الفتح اليعمري عن عروة، قال مر ورقة بن نوفل على بلال وهو يعذب يلصق ظهره برمضاء البطحاء في الحر، وهو يقول: أحد أحد، فقال: يا بلال صبرًا يا بلال صبرًا، لم تعدّ بونه فوالذي نفسي بيده لئن قتلتموه لآخذنه حنأنا، يقول: لا تمسحن به واستأنف قوله: (فوحّد الله) حال كون توحيده (إخلاصًا) أو هو مفعول مطلق في موضع توحيد إلا أنه بمعنى يوحد، قال أبو شامة: ويجوز أن يكون فوحّد الله في موضع الحال من ألقوه أو من عليه، أي: في حال توحيده لله. وردّه شيخنا بأن الحال لا تقع جملة إلا خبرية غير مصدرة بعلم استقبال مرتبطة بالواو والضمير أو بالواو فقط، كما هو مقرّر.

(و)الحال إنه (قد ظهرت بظهره كندوب) جمع ندب بفتح الدال، أي: آثار، وقيل: أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، (الطلّ) المطر الضعيف (في الطلل) ما شخص من آثار الديار على وجه الأرض وقد يعبر به عن محل القوم ومنزلهم وهو مراده هنا، فكأنه يقول: أثر التعذيب في ظهره؛ كما أثر المطر في الأطلال فخذد أرضها ومحا وسومها، قاله الطرابلسي.

قال أبو شامة: وإذا كان المطر ضعيفًا ظهرت آثار نقطه في الأرض. (إن قد ظهر ولي الله من دبر قد قدّ قلب عدو الله من قبل) فيه كما قال أبو شامة: من البديع اللفظي والمعنوي ذكر

يعني إن كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده، فقد جوزى عدو الله أمية وقد قلبه بيدر، لأنه قتل يومئذ، وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاء لأخوة كانت بينهما في الجاهلية، فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا

المتصفين في الآيتين إن كان قميصه قد من قبل وإن كان قميصه قد من دبر، وجعل صفة بلال الصفة التي كان عليها نبي الله يوسف، والصفة المكروهة صفة الكافر أمية، فأضاف إلى كل ما يليق بحاله والتجانس بين قد وقد، وبين قلب عدو الله ومن قبل، وذكره للقلب دون غيره من أعضاء الجسد مبالغة في تقطيعه بالسيف، أي: أنها وصلت إلى قلبه فقدته، والمقابلة بين ولي الله وعدو الله وظهر وقلب إذ القلب من أعضاء الباطن والظهر بخلافه، والإشارة بقوله: من دبر إلى أن تعذيبه، كانت صورته صورة من أتى من ورائه غيلة؛ لأنه عذب بعد أن بطح وألقي عليه الصخر، وعدو الله أتى من قبل وجهه لا غيلة ولا خديعة. (يعني: إن كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدو الله أمية وقد قلبه بيدر؛ لأنه قتل يومئذ) وكان السيف وصل إلى قلبه فقدته؛ كما مر؛ وأشار إلى أن حذف الفاء للضرورة؛ لأنه من المواضع التي يجب اقتران الجواب فيها بالفاء؛ لأن الشرط ماض مقرون بقد، وبه جزم الطرابلسي.

وقال أبو شامة: أو هو جواب قسم محذوف، فلا تلزم الفاء نحو: وإن أطعتموهم إنكم لمشركون لكن حذف لام القسم، أي: لقد قد، فجواب الشرط محذوف؛ لأنه إذا قدر القسم قبله يكون مما اجتمع فيه الشرط والقسم فيحذف جواب المتأخر منهما؛ قال: ويجوز أنه عبر بقد قلبه عن هتفه ووجعه وتألّمه وجزعه بإخبار سعد بن معاذ إياه بمكة أن النبي ﷺ يقتله، ففرغ لذلك فرغاً شديداً ولم يخرج لبدر إلا كرهاً؛ كما في الصحيح. أو عبر بقد قلبه عن انفلاقه وتقطّعه حسرة وغیظاً لمشاهدته قتل صناديدهم يوم بدر، واختلال أمرهم وعلو كلمة الإسلام وأسرهم هو ثم قتله وعذاب بلال، كان غير مشعر بشيء من ذلك فكأنه من وراء وراء وعذاب أمية مباشرة مواجهة، فقال فيه من قبل، وفي بلال من دبر، وهذا معنى دقيق، انتهى.

(وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاء لأخوة كانت بينهما في الجاهلية، فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته) وكان حسناً ندياً فصيحاً، وما يروى سين بلال عند الله شين، أنكره الحافظ المزي وغيره، (يا أنصار الله) خصّهم لمزيد اعتنائهم بالنصرة ومعاذتهم المصطفى عليها، وخشية أن المهاجرين لا يعينونه عليه إكراماً لعبد الرحمن، (رأس الكفر) قال السيوطي وغيره بالنصب على الإغراء والرفع على حذف المبتدأ، أي: هذا (أمية بن خلف لا نجوت إن نجا) وفي البخاري عن عبد الرحمن فلما خشيت أن يلحقونا حلفت لهم

فنهسوه بأسيافهم حتى قتلوه.

وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة منهم: الزنيرة، فذهب بصرها، وكانت ممن تعذب في الله، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى،

ابنة علياً لأشغلهم فقتلوه، ثم تبعونا وكان رجلاً ثقيلاً فلما أدركونا، قلت له: أبرك، فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه (فنهسوه) تناولوه (بأسيافهم حتى قتلوه) ففيه استعارة تصريحية تبعية شبه ضربهم بالسيف بالنهس بالمهمله أخذ اللحم بمقدم الأسنان للأكل وبالمعجمة أخذه بالأسنان والأضراس، وفي نسخة: فنهبوه بموحدة وهو استعارة أيضاً شبه ما ذكر بالتهب وهو أخذ المال بالغلبة والقهر فظهر مصداق، واعلم أن النصر مع الصبر صبر على تعذيبه له فكان قتله على يديه قبل، فهناه الصديق بأبيات منها:

هنيئاً زادك الرحمن فضلاً فقد أدركت ثأرك يا بلال

(وأخرج البيهقي عن عروة: أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة) هم: بلال وعامر بن فهيرة وأم عيسى بعين مهمله مضمومة فنون، وقيل: بموحدة فتحية فسين مهمله أمة لبني زهرة، كان الأسود بن عبد يغوث يعذبها، وزنيرة والنهدية وبنتها والمؤملية؛ كما في سيرة ابن هشام. وذكر ابن إسحاق أنه أعتق أبا فكيهة وابن عبد البر وغيره أنه أعتق أم بلال، فاقْتَصَارُ عروة على سبعة باعتبار ما بلغه فلا ينافي أنهم تسعة.

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير، قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك أعتقت رجلاً جليداً يمنعوك ويقومون دونك، فقال: يا أبة، إني إنما أريد له عند الله، فنزلت هذه الآية فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ [الليل: ٥]، إلى آخر السورة. (منهم الزنيرة) الرومية أمة عمر بن الخطاب أسلمت قبله، فكان يضربها (فذهب بصرها) عميت من شدة العذاب، (وكانت ممن يعذب في الله) وروى الواقدي أن عمر وأبا جهل كانا يعذبانها، (فتأبى إلا الإسلام) وكان أبو جهل يقول: ألا تعجبون إلى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى محمد خيراً وحققاً ما سبقونا إليه، أفتسبقنا زنيرة إلى رشد.

وأخرج ابن المنذر عن عون أبي شداد، قال: كان لعمر أمة أسلمت قبله، يقال لها زنيرة فكان يضربها على إسلامها حتى يفتري، وكان كفار قريش يقولون: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زنيرة، فأنزل الله في شأنها، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لو كان خيراً﴾ [الأحقاف: ١١]، الآية، وروى نحوه ابن سعد عن الضحاك والحسن. (فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى) وعند البلاذري، فقال لها أبو جهل: إنهما فعلا بك ما ترين، فيحتمل أنهم تبعوه

فقلت: والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها.
والزنية: بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة. كسكية: كما في القاموس.

[الهجرة الأولى إلى الحبشة]

ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة للحبشة،

في قوله: (فقلت:) وهي لا تبصر (والله ما هو كذلك) وما يدري اللات والعزى من يعبدهما، ولكن هذا أمر من السماء وربّي قادر على أن يرد عليّ بصري، (فردّ الله عليها بصرها) صبيحة تلك الليلة، فقلت قريش: هذا من سحر محمد، فاشتراها أبو بكر فأعتقها.

(والزنية بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة) فتحتية فراء (كسكية: كما في القاموس). قال الشامي: وهي لغة الحصة الصغيرة، ويروى زنية بفتح الزاي وسكون النون فموحدة، انتهى.

وفي الإصابة: زنية بكسر الزاي وشدّ النون المكسورة بعدها تحتية ساكنة: الرومية، ووقع في الاستيعاب زنية بنون وموحدة وزن عنبرة، وتعقبه ابن فتحون، وحكى عن مغازي الأموي بزي ونون مصغرة من السابقات الإسلام وممن يعذب في الله، انتهى. والله أعلم.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

(ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة للحبشة) بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جدًا، وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة ويقال أنهم من ولد حبش بن كوش بن حام، قال ابن دريد: جمع الحبش أحبوش بضمّ أوله، وأما قولهم الحبشة فعلى غير قياس، وقد قالوا أيضًا: حبشان وأحبش وأصل التحبش التجميع، ذكره في فتح الباري.

وعند ابن إسحاق أن سبب الهجرة أنه ﷺ لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم، قالوا: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه، فخرجوا إليها مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري، قال: لما كثر المسلمون وظهر الإسلام أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يعدّونهم ويؤذونهم ليردّوهم عن دينهم فبلغنا أنه ﷺ قال للمؤمنين: «تفرّقوا في الأرض، فإن الله سيجمعكم»، قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «إلى ههنا»، وأشار بيده إلى أرض الحبشة.

وذلك في رجب سنة خمس من النبوة.

فهاجر إليها ناس ذوو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلاً - وقيل اثنا عشر رجلاً - وأربع نسوة - وقيل: وخمس نسوة، وقيل وامرأتين -.

(وذلك في رجب) بالصرف ولو كان معيّنًا ففي المصباح رجب من الشهور مصروف، (سنة خمس من النبوة) كما قاله الواقدي، وزاد: فأقاموا شعبان وشهر رمضان وفيه كانت السجدة وقدّموا في شوال من سنة خمس، (فهاجر إليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلاً) عثمن بن عفان، وعبد الرحمن، والزبير بن العوام، وأبو حذيفة بن عتبة هارثًا من أبيه بدينه، ومصعب، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعثمن بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وسهيل بن بيضاء، وأبو سبرة بن أبي رهم، وحاطب بن عمر والعامريّان، وابن مسعود، كذا قال الواقدي.

قال في الفتح: وهو غير مستقيم مع قوله أوّل كلامه: كانوا إحدى عشر، فالصواب ما قاله ابن إسحق أنه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة أو حاطب. وجزم ابن إسحق بأن ابن مسعود إنما كان في الهجرة الثانية، ويؤيده ما عند أحمد بإسناد حسن عنه، قال: بعثنا النبي ﷺ إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلاً، انتهى. وقال أبو عمر: اختلف في هجرة أبي سبرة إلى الحبشة، ولم يختلف في شهوده بدرًا، قال في النور: ولم أر أحدًا سماه.

(وقيل: اثني عشر رجلاً) وجزم به في العيون والحافظ في سيرته إلا أن الأول ترك الزبير وذكر سليط بن عمرو وأهمل الثاني حاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء، وذكر بدلها حاطب بن الحرث وهاشم بن عمرو، (وأربع نسوة) السيّد رقية مع زوجها عثمن، وسهلة بنت سهيل مع زوجها أبي حذيفة مراغمة لأبيها فآزة عنه بدينها فولدت له بالحبشة محمّد بن أبي حذيفة، وأم سلمة مع زوجها، وليلى العدويّة مع زوجها عامر بن ربيعة.

(وقيل: وخمس نسوة) هؤلاء الأربع وأمّ كلثوم بنت سهيل بن عمرو زوج أبي سبرة، وبهذا جزم الحافظ كاليعمرى قائلًا: لم يذكرها ابن إسحق، وذكر ابن عبد البرّ وتبعه ابن الأثير في الهاجرات أمّ أيمن بركة الحاضنة. قال البرهان: وأظنّها هاجرت مع رقية؛ لأنها جارية أبيها، انتهى. فلعلّ من أسقطها لكونها تبقًا.

(وقيل: وامرأتين) بالياء عطفًا على أحد عشر، وفي نسخة بالألف، أي: ومعهم امرأتان أو على لغة من يلزم المثنى الألف، وقيل: كانوا اثني عشر رجلاً وثلاث نسوة، وقيل: عشرة رجال

وأمرهم عثمان بن مظعون، وأنكر ذلك الزهري وقال: لم يكن لهم أمير، وخرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار.

وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال:

وأربع نسوة. (وأمرهم) قال ابن هشام: فيما بلغني (عثمان بن مظعون) بالطاء المعجمة (وأنكر ذلك الزهري) محمد بن مسلم (وقال: لم يكن لهم أمير) ويحتمل أنهم أمره بعد سيرهم باختيارهم ولم يؤمر المصطفى عليهم أحدًا، فلا خلف. (وخرجوا) سراً من مكة (مشاة) ثم عرض لبعضهم الركوب، وانتهوا في خروجهم (إلى البحر) فهو متعلق بمحذوف لا صلة مشاة أو غلب المشاة لكثرتهم على الركاب، فلا تنافي بينه وبين قول العيون والمنتقى والسيل: فخرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب ومنهم الماشي، والشعيبة بمعجمة مضمومة ومهمل مفتوحة ساكنة فموحدة فتاء تأنيث: واد، كما قال الصغاني والمجدد؛ كما في النور وفي السيل: مكان على ساحل البحر بطريق اليمن، لكن وقع في بعض نسخة الشيعية بزيادة ياء بعد الموحدة وهو تحريف من النسخ لقوله تصغير شعبة، إذ تصغيره بلا ياء وهو الذي في الذيل والقاموس. (فاستأجروا سفينة) جزم به تبعاً لفتح الباري، والذي في العيون وغيرها: فوقق الله ساعة للمسلمين جاؤوا سفينتين للتجارة حملوهم فيهما (بنصف دينار) وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهما أحدًا، ويحتمل الجمع بأنهم استأجروا سفينة واحدة لقلّتهم فضاحت عنهم لشحنها بالتجارة وتجارتهن، فحملوهم في اثنتين، واستشجار واحدة لا ينافي الحمل في اثنتين، وهذا أقرب من إمكان أنهم استأجروا صاحب السفينتين على حملهم إلى مقصودهم في السفينتين أو مجموعهما، فاتفق حملهم بواحدة، فالمصنّف نظر إلى الحمل وغيره لما وقع عليه التوافق؛ لأن فيه قصر حملهم في واحدة وأتى به مع قولهم: حملوهم فيهما. (وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ) وقيل: خاطب بن عمرو، وقيل: سليط بن عمرو، حكاهما اليعمري هنا وذكر في أزواج المصطفى، وتبعه المصنّف ثمة أن أم سلمة وزوجها أول من هاجر، فهي أربعة أقوال.

(وأخرج يعقوب بن سفيان) الحافظ الفسوي بالفاء (بسند موصول إلى أنس) وأما بعده فمرسل صحابي (قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال) ﷺ: «صحبهما الله»، كما في نفس رواية يعقوب قبل قوله: (إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط) نبي الله هاجر من كوثي إلى حران ولما وصلوا الحبشة أقاموا عند النجاشي آمنين، وقالوا: جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدا لله لا تؤذي ولا

إن عثمن لأول من هاجر بأهله بعد لوط.

فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصي، وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي - واسمه أصحمة - وكان معهما عمارة بن الوليد، ليردهم إلى قومهم، فأبى ذلك وردهما خائبين ولم يقبل هديتهما.

نسمع شيئاً نكرهه، (فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصي) القرشي السهمي الصحابي أسلم بعد ذلك على يد النجاشي وهي لطيفة صحابي أسلم على يد تابعي، ولا يعلم مثله. (وعبد الله بن أبي ربيعة) عمر بن المغيرة المخزومي المكي أسلم بعد وصحب وكان حسن الوجه ولأه عليه السلام الجندي ومخالفها فلما حوضر عثمن جاء لينصره فوقع عن راحلته بقرب مكة، فمات (بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي) بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فياء ثقيلة وتخفف، لقب قديم لملك الحبشة، قال الحافظ: وأما اليوم فيقال له الحطي بفتح الحاء وكسر الطاء الخفيفة المهملتين وتحثائية خفيفة، (واسمه) كما في البخاري (أصحمة) بمهملتين بوزن أربعة، وفي مصنف ابن أبي شيبة: صحمة بحذف الهمزة، وحكى الإسلاميلي أصحمة بخاء معجمة، وقيل: أصحمة بموحدة بدل الميم، وقيل: صحبة بلا ألف، وقيل: مصحمة، بيم أوله بدل الهمزة ابن أبيجر، وقيل: اسمه مكحول بن صبة، قاله مغلطاى. ولقب ملك الترك خاقان، والروم قيصر واليمن تبع، واليونان بطليوس، واليهود القيطون، فيما قيل والمعروف مالخ، وملك الصائبة النمرود ودهمز، وملك الهند يعفور، والزنج زغانة، ومصر والشام فرعون، فإن أضيف إليهما الاسكندرية سمي العزيز، ويقال المقوقس، ولملك العجم كسرى، ولملك فرغانة الأخشيد، وملك العرب من قبل المعجم النعمان، وملك البربر جالوت.

(وكان معهما عمارة بن الوليد) بن المغيرة المخزومي، والذي في العيون: وكان عمرو بن العاصي رسولا في الهجرتين ومعه في أحدهما عمارة وفي الأخرى عبد الله، ثم قال في الهجرة الثانية ولم يذكر ابن إسحاق مع عمرو إلا عبد الله في رواية زياد. وفي رواية ابن بكير لعمارة ذكر. وفي الشامية: الصحيح أن في الأولى عمارة، وفي الثانية عبد الله، انتهى. وهو خلاف ما اقتصر عليه الحافظ في سيرته من أن عمرا وعمارة ذهبا في الهجرة الثانية، انتهى. ورواه أحمد عن ابن مسعود (ليردهم) أي: ليرد النجاشي المهاجرين (إلى قومهم، فأبى ذلك وردهما) أي: عمرا وعبد الله (خائبين) لم يجبهما إلى ما طلبا (ولم يقبل هديتهما) ولم يذكر عمارة لأنه تبع لهما، لا لما تقدم أنه توحش ولم يعد لأن المتقدم إنما هو في الهجرة الثانية، نعم على ما صححه الشامي إن ثبت يكون المعنى لم يجبهما، وزاد عمارة: خيبة بفعله ذلك معه.

شرح العلامة الزرقاني
على
المواهب اللدنية

فهرس المجلد الأول

الفهرس

٣	ترجمة شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني
٦	التعريف بالمواهب اللدنية
٨	ترجمة الزرقاني
٩	المقدمة
١١	شرح مقدمة المواهب
٤٠	محتوى الكتاب/ المقصد الأول
٤٢	محتوى الكتاب/ المقصد الثاني
٤٣	محتوى الكتاب/ المقصد الثالث
٤٤	محتوى الكتاب/ المقصد الرابع والخامس
٤٥	محتوى الكتاب/ المقصد السادس
٤٦	محتوى الكتاب/ المقصد السابع
٤٧	محتوى الكتاب/ المقصد الثامن والتاسع
٤٨	محتوى الكتاب/ المقصد العاشر
٥٠	المقصد الأول في تشریف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام
١٥٦	عام الفيل وقصة أبرهة
١٩٠	ذكر تزوج عبد الله آمنة
٢٣٦	الاختلاف في ختنه
٢٤٣	وقد اختلف في عام ولادته ﷺ
٢٥٧	وفي مدة حملة
٢٥٨	ذكر رضاعة ﷺ وما معه
٢٨٩	ذكر خاتم النبوة
٣٠٧	ذكر وفاة أمه وما يتعلق بأبويه ﷺ
٣٧٠	تزوج عليه السلام خديجة
٣٧٩	بنيان قريش الكعبة
٣٨٥	باب مبعث النبي ﷺ

٤٢٠	مراتب الوحي
٤٤٤	ذكر أول من آمن بالله ورسوله
٤٧٧	إسلام حمزة
٥٠٣	الهجرة الأولى إلى الحبشة